يشهد بذلك، ها هي قبور المسلمين وها هي قبور الكفار، وها هو البقيع في المدينة دفن فيه من خيرة الناس وهم أصحاب رسول الله ﷺ هل رأى من ذهب هناك شجرة زرعت على قبرٍ في البقيع؟ أنحن أعلم منهم؟ لو كان خيراً لفعله الصحابة، لرفعوا القبور وبنوا الرخام وكتبوا الأسماء، ولكنهم علموا أن رسولهم ﷺ نهى عن ذلك.

عباد الله! زيارة المقابر شرعت لترقق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، فإذا كانت القبور كالحدائق والبساتين، فأنَّىٰ تحصل الذكرى؟! إضافةً إلى كَوْن زراعتها ورفعها وبنائها كل ذلك مخالفات شرعية.

ثالثاً ـ قلّدنا الكفار في الربا:

تَعامُلنا في تجارتنا ـ إلا من رحم ربي ـ قائم على الربا؛ بل أصبح الكثير من الناس يعتقد أنه لا يستطيع أن يتاجر إلا بالربا ولا يحفظ ماله إلا في بيوت الربا.

عباد الله! بيوت الربا (البنوك) في بلاد المسلمين أعلى بناءً من بيوت الربا في بلاد غير المسلمين، (البنوك) في بلاد المسلمين تعطي فائدة أعلى من بنوك الكفار لِمَ؟ لأننا سلكنا مسلكهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، فأكلنا الربا بلا دليل ولا برهان، فوالله لو أن الذي أكل الربا وتعامل بالربا فكر قليلاً ما أكل الربا، لو علم أن الله قال في كتابه: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥] لقال في نفسه: كيف أُقْدِمُ على الحرام؟ ولو قرأ كتاب الله ووجد أن الله أعلن الحرب على آكل الربا لامتنع عن أكله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

ولو علم آكل الربا أن رسول الله ﷺ قد «**لعن آكل الربا وموكله**»(١)، ما أكل الربا.

---

(١) **صحيح**: م: (١٥٩٨).

ولو علم آكل الربا أن رسول الله ﷺ قال: «**درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم، أشد عند الله من ستٍّ وثلاثين زنية**»(١). ولكننا أكلنا الربا تقليداً أعمى للكفار.

رابعاً ـ قلّدنا الكفار في التبرج والاختلاط:

عباد الله! قلدنا الكفار في التبرج، وواقعنا يشهد بذلك، فلا يختلف اثنان في أن ما نراه في شوارع المسلمين إنما هو تقليد أعمى للكفار.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أقول: والله تبرج الجاهلية الأولى لهو حشمة ووقار إذا ما قُورن بتبرج القرن العشرين، عجب والله!! رجلٌ تربّى على الإسلام والشهامة والعروبة يسمح لابنته أو زوجته أن تخرج إلى الشارع كما نرى!! ما الذي أصابنا يا عباد الله؟!.

أتدرون ما الذي أصابنا؟ إنه التقليد الأعمى لما نرى عبر شاشات المفسديون.

يقول ﷺ عن صنف من نساء أهل النار: «**صنفان من أهل النار لم أَرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهنَّ كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»(٢). وهذا ما نراه في القرن العشرين.

انظروا إلى شباب المسلمين الآن، كيف يحلقون شعورهم؟ أتجدون ذلك في بلاد المسلمين يا عباد الله أن يحلق نصف شعره من أسفل ورسولنا ﷺ نهى عن ذلك، ولكنه التقليد الأعمى، إدخال المفسديون في البيوت وتركيب الأطباق اللاقطة (الستالايت) على البيوت، تقليد أعمى

---

(١) **صحيح**: حم: (٥/ ٢٢٥)، قط: (٣/ ١٦)، [«ص.ج» (٣٣٧٥)].

(٢) **صحيح**: م: (٢١٢٨).

للكفار بلا دليل ولا برهان ليصبّ الفساد في بيته صبّاً، هل هناك عاقل يحافظ على الصلوات الخمس في المسجد، ويعلم أن رسول الله ﷺ قال: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»(١)، ويأتي بهذا الجهاز ويضعه على بيته.

عباد الله! والله لا يشرِّف المسلم أبداً أن يسكن في بيت عليه هذا الجهاز، وسيندم الذين أقدموا على شراء هذا الجهاز، والله إنهم سوف يجنون الشوك بأيديهم، وذلك عندما يرى في بيته الفساد وقد نبت فلا يستطيع أن يحصد إلا الشوك؛ لأنه هو الذي زرع الشوك وغش رعيته، وهذا هو التقليد الأعمى الذي ضيع الأمة وفرقها ولا نملك إلّا أن نقول: إنّا الله وإنّا إليه راجعون.

عباد الله! التقليد الأعمى ضلال في الدنيا وندم يوم القيامة:

ضلال في الدنيا وقد تبيّن لكم، وأي ضلال بعد هذا الذي وصلنا إليه.

وندم يوم القيامة، والعاقل من اتعظ بغيره، يخبرنا ربنا ـ جل وعلا ـ عن هؤلاء الذين قلدوا بغير دليل ولا برهان، فيقول ﷻ: ﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾**﴾ [البقرة: ١٦٥ ـ ١٦٧].

أي: قال الذين اتبعوا: لو أن لنا كَرَّة؛ أي: عودة إلى الدنيا مرة ثانية فنتبرأ منهم.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿**وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ**

(١) **صحيح**: د: (٤٠٣١)، طس: (١٧٩/٨)، [«ص.ج» (٦١٤٩)].

بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ: ٣١ ـ ٣٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٦ ـ ٦٨]، ندموا في وقت لا ينفع فيه الندم.

أمة الإسلام! التقليد الأعمى فرّق الأمة:

انظروا إلى المسلمين اليوم كلٌّ يقلد شيخه بلا دليل ولا برهان، كلٌّ يقلد حزبه وجماعته بلا دليل ولا برهان، تقول لأحدهم: يقول رسول الله ﷺ كذا وكذا، يرد عليك بكل جهل ويقول: شيخي يقول كذا! تقول له: رسول الله ﷺ يقول: اعفوا اللحى، وفِّروا اللحى، أطلقوا اللحى، يقول لك: جماعتي وحزبي يقولون: احلقوا اللحى!! تقليد أعمى بلا دليل ولا برهان.

والله إني لأعرف شباباً كانوا على درجة من العلم والالتزام فجلسوا مع أَمثال هؤلاء فدعوهم إلى الضلال فاتبعوهم بلا دليل ولا برهان، فقاموا بحلق لحاهم أو بحفها وتقصيرها، فتشبهوا بالكفار وتخلفوا عن صلاة الجماعة، وعن دروس العلم وظنوا أنها قشور لا يجب أن ننتبه إليها الآن، فضلّوا وأضلّوا.

فيا شباب الإسلام، احذروا دعاةً على أبواب جهنم إذا دعوكم فقولوا لهم: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

عباد الله! يوم أن قلدنا الكفار في كل شيء ضللنا، ولِمَ لا.

ورسولنا ﷺ يقول: «**تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وسنّتي، ولن يتفرقا حتى يردا عَليَّ الحوض**»[(١)].

فالعلاج لهذا المرض الخطير يكون بالعلم الشرعي، علم الكتاب والسنّة، فبالعلم الشرعي تميز بين الحلال والحرام، وبين السنّة والبدعة، وبين الشرك والتوحيد، وبين الكفر والإيمان.

يكون معك النور الذي تستطيع به أن تتبين، ولكن بالجهل تقلد غيرك في أكل الربا والتبرج، وفي كل معصية، وتظن يا مسكين أنك تُحسن صنعاً.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤].

اللّهم فقّهنا في ديننا

* * *

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، قط: (٤/ ٢٤٥)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].

٤٦

(٢) الابتلاء سنّة مِنْ سُنن الله في خلقه

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن الدرس الأول من الدروس التي تؤخذ من دعوة إبراهيم عليه السلام مع قومه إلى عقيدة التوحيد.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع الدرس الثاني من هذه الدروس، وهو بعنوان: «**الابتلاء سنّة من سنن الله في خلقه**».

عباد الله! كثير من الناس في هذه الدنيا يدَّعون الإيمان والصلاح وما هم بمؤمنين ولا صالحين، ولكنهم من الكاذبين، وبهذا أخبرنا ربّ العالمين.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [العنكبوت: ١٠].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج: ١١].

عباد الله! لمّا كان من الناس في هذه الدنيا من يقول: آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، كان لا بد من الابتلاء في الدنيا؛ ليميز الله الخبيث من الطيب.

ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ٢، ٣]؛ أي: أنهم يدَّعون الإيمان والصلاح، والإيمان والصلاح منهم براء.

عباد الله! اعلموا أن أشد الناس بلاء في هذه الدنيا هم الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.

قال ﷺ: «**أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل، فالأمثل، يبتلى الناس على قدر دينهم، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه، ومن ضعف دينه ضعف بلاؤه، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئة**»[1].

وبالمثال يتضح البيان:

• **فهذا أيوب** عليه السلام: ابتُلِيَ بمرض طال فيه عناؤه، وابتُلِي بفقد المال والولد فصبر أيوب عليه السلام صبراً جميلاً على الابتلاء حتى إن الله عز وجل قال فيه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

وهذا يوسف عليه السلام: ابتُلِيَ بإخوته الذين ألقوه في غيابة الجب يريدون أن يتخلّصوا منه، وابتُلِيَ بامرأة العزيز التي راودته عن نفسه، وابْتُلِيَ بالسجن بضع سنين، ومع ذلك صبر على الابتلاء صبراً جميلاً حتى إن الله عز وجل قال فيه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

• **وهذا يونس** عليه السلام: ابتُلِيَ بالسجن في بطن الحوت، فصبر على ذلك صبراً جميلاً حتى جعل الله له مخرجاً، ونجّاه من الغمِّ وكذلك ننجي المؤمنين.

• **وهذا إبراهيم** عليه السلام: الذي نحن في صدد الحديث عنه يضرب لنا أَروع الأمثلة في الصبر على الابتلاء لتصبروا على الابتلاء يا أمة الإسلام،

---

(١) صحيح: حب: (٢٩٠٠)، ك: (١/ ١٠٠)، هق: (٣/ ٣٧٢)، [«ص.ج» (٩٩٣)].

فالشاهد والواقع الآن أنه لا يختلف اثنان في أن الأمة الإسلامية في ابتلاءٍ شديد، مكرٌ بالليل والنهار، تعذيب لها بالليل والنهار، فماذا يجب علينا؟ هل نقوم بالانتقام على ما نحن فيه من ضعف أم نصبر على هذا الابتلاء حتى نعود إلى ديننا، فيجعل الله لنا مخرجاً كما جعل للأنبياء والصالحين مخرجاً؟ نقول ذلك ونذكِّر والذكرى تنفع المؤمنين.

***عباد الله:* هذا إبراهيم** عليه السلام: **أولاً**: ابتُلِيَ بوالد كافر، ومن أكبر الابتلاء أن يبتلى الرجل بوالد كافر.

يأمره بالكفر، وينهاه عن الدين والإسلام، ومع ذلك صبر إبراهيم على هذا الابتلاء ودعا أباه إلى عقيدة التوحيد، وصبر على أذى والده له حين قال له: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾﴾ [مريم: ٤٦].

تهديد له بالرجم والطرد، ومع ذلك صبر على الابتلاء.

ثانياً: ابتُلِيَ إبراهيم عليه السلام بقوم كفار يعبدون الأصنام والنجوم والكواكب بالليل والنهار، ومع ذلك صبر على دعوتهم إلى عقيدة التوحيد، وصبر على أذاهم.

ثالثاً: ابتُلِيَ إبراهيم عليه السلام بالإلقاء في النار التي أجَّجها له الظالمون؛ أوقدوا له ناراً حامية وألقوه فيها، ومع ذلك صبر على هذا الابتلاء وقال: «حسبي الله ونعم الوكيل».

رابعاً: ابتُلِيَ إبراهيم عليه السلام بالهجرة من الوطن والأهل، ومع ذلك صبر واحتسب ابتغاء مرضاة الله.

خامساً: ابتُلِيَ إبراهيم عليه السلام بذبح ولده إسماعيل، وهذا بلاءٌ شديد حتى إن الله عز وجل أخبرنا بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ [الصافات: ١٠٦]، فتعالوا ـ يا أمة الإسلام ـ لننظر إلى إبراهيم عليه السلام كيف ابتُلِيَ بذبح ولده؛ لنتعلّم منه وهو يصبر على ذلك ويستسلم لله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الصافات: ٩٩ ـ ١٠٨]، وجاءه الولد على الكبر، والولد إذا جاء على كبر كان له مكانة ومحبة في قلب أبيه، وعندما كبر إسماعيل وترعرع وفرح به إبراهيم عليه السلام رأى في منامه رؤيا ـ ورؤيا الأنبياء حق ـ أن يذبح ولده إسماعيل ابتلاءً وتمحيصاً.

فماذا قال الابن؟ قال: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، الله أكبر! على أي مائدة تربيت يا إسماعيل؟! على مائدة التوحيد، على مائدة العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون، ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ استسلم إبراهيم وإسماعيل لأمر ربهما، وهمَّ إبراهيم بالذبح ووضع السكين على رقبة إسماعيل، ولكن دائماً يأتي الفرج بعد الصبر على الابتلاء ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾؛ أي: بكبش عظيم.

عباد الله! صبر إبراهيم عليه السلام على الابتلاء، فماذا كانت النتيجة؟.

أولاً: نجّى الله عز وجل ولده إسماعيل من الذبح، وحفظه حتى صار نبياً من الصالحين، وصار له ذرية كان منها فيما بعد رسولنا صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: نجّى الله ولده إسماعيل من الذبح، وبشره بغلام آخر وهو إسحاق عليه السلام.

ثالثاً: شهد الله عز وجل لإبراهيم أنه من المحسنين وكفى بالله شهيداً، والإحسان أعلى درجات الإيمان، فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ وقال في آية بعدها: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات: ١١٠].

رابعاً: شهد الله لإبراهيم بالصدق.

أي: بالصدق في دعوته وتوحيده وإيمانه وصبره على الابتلاء.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١﴾ [مريم: ٤١].

خامساً: جعل الله لإبراهيم ذكراً حسناً في الآخرين: فأنزل فيه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، اقرؤوا القرآن تجدوا الكثير من آيات الله تتكلم عن توحيده ودعوته للناس إلى عقيدة التوحيد.

ونحن نذكره في صلاتنا إذا جلسنا للتشهّد.

ونذكره نحن معشر المسلمين في كل عام في عيد الأضحى، ونحن نتقرب إلى الله بذبح الأضاحي سنّة أبينا إبراهيم.

لتعلموا يا أمة الإسلام أن النصر مع الصبر، وليس مع التسرع والاستعجال.

يا شباب الإسلام! يا دعاة الاستعجال والعاطفة! يا من سلكتم طريقاً غير طريق الأنبياء! لتعلموا أن التمكين في الأرض لا يكون إلا بعد الصبر على الابتلاء.

والله ﷻ يقول لرسوله ﷺ: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٤﴾ [الأنعام: ٣٤].

أي: لا يكون أبداً النصر مع الاستعجال والعاطفة، أو مع الخطب الرنانة التي تشعل الناس حماساً، كفانا خطباً رنّانةً، وحماساً يؤدّي إلى جني الثمار قبل نضجها، فقد ضاع الشباب، وامتلأت السجون بشباب المسلمين بسبب التسرع والتهور، ولذلك رسولنا ﷺ ربّى أمته على الصبر على الابتلاء وعدم الاستعجال.

عباد الله! ورسولنا ﷺ يربّي أمته على الصبر على الابتلاء:

أولاً: رسولنا ﷺ ـ وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم وقد أرسله الله

رحمة للعالمين ـ يمر ﷺ على بعض أصحابه وهم يعذبون على أيدي الكفار والظَّلَمة، ومع ذلك يقول لهم: «**صبراً آل ياسر، فإن موعدكم الجنة**»(١)، أأنتم ـ يا دعاة الاستعجال ـ أرحم بالأمة من رسول الله؟!.

ثانياً: رسولنا ﷺ يربّي خباب بن الأرت والأمة الإسلامية على الصبر على الابتلاء، ويبيّن لهم أن النصر لا يكون إلا بعد الصبر على الابتلاء.

يقول خباب بن الأرت: شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو متوسد بردةً له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال ﷺ: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيُجعل فيها، فيُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمَّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»(٢).

كثير من الشباب إذا ابتلي بابتلاء قليل، أو سجن في سجون الظلمة أياماً، خرج من السجن ينتقم ويكفّر؛ لا.

إنما هو ابتلاء من الله وتمحيص. أرأيتم الذهب وهو ذهب يُدْخل النار لينقى من الشوائب، وكذلك المؤمن يدخل في البلاء مؤمناً ويخرج منه مؤمناً قوياً.

واللهِ داعيةٌ من دعاة الاستعجال ذكر هذا الحديث كاملاً ولم يذكر (ولكنكم تستعجلون)، أتدرون [لِمَ]؟ لأن هذه الكلمة نقض لكل ما يفعلونه، وكأنه يريد أن يقول: لا ينبغي أن تكون هذه الكلمة من رسول الله ﷺ! وهل ذقنا الوبال وامتلأت السجون إلا من الاستعجال والتسرع القائم على العاطفة.

---

(١) **حسن صحيح**: ك: (٣/ ٤٣٢)، طب: (٢٤/ ٣٠٣)، هق: (٢/ ٢٣٩)، حل: (١/ ١٤٠)، [«فقه السيرة»].

(٢) **صحيح**: خ: (٦٥٤٤).

عباد الله! الصبر على البلاء لا بُدَّ منه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

عباد الله! اعلموا أنَّ الابتلاء في هذه الدنيا سنّةٌ مِن سنن الله في خلقه.

فالله ﷻ أخبرنا في كتابه أنه خلق الخلق ليبتليهم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: ٢].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ٢].

- الابتلاء في هذه الدنيا يكون بالسراء والضراء، والحسنات والسيئات، والخير والشر، والفقر والغنى، والصحة والمرض.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

- فهذا أيوب عليه السلام ابتُلِيَ بالشدة، والمرض، والفقر، وفقد الأولاد، فصبر، فقال ـ تعالى ـ عنه: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

- وهذا سليمان عليه السلام ابتُلِيَ بالسّرّاء فشكر.

فقال الله عنه: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

فالمؤمن في هذه الدنيا إذا ابتلي بالسّرّاء يشكر، وإذا ابتلي بالضّرّاء يصبر.

فرسولنا ﷺ يقول: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كُلَّهُ له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سرّاءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته**

ضرّاءُ صبر فكان خيراً له»(١).

ونحن في هذه الدنيا نتقلب بين السرّاء والضرّاء.

فيا أخا الإسلام: إذا ابتليت بالفقر فعليك أن تصبر صبراً جميلاً، وتبحث عن وسائل الحصول على الرزق الحلال، ولا تهرول إلى أبواب الربا لتقترض منها، فكثير من الناس لا يصبر على الفقر فيتورط في الربا.

• إذا ابتليت بعدم الأولاد والإنجاب، فعليك أن تصبر وتأخذ بالوسائل المشروعة للحصول على الأولاد، ولا تهرول إلى أبواب السحرة والدجّالين.

• إذا ابتليت بفقد المال وسرقته، فاصبر على ذلك وخذ بالأسباب المشروعة لمعرفة السارق، وإياك أن تهرول إلى أبواب السحرة والكهنة والمشعوذين لتعرف منهم السارق، فإنهم لا يعلمون الغيب.

• إذا ابتليت بالسراء فمنَّ الله عليك بالمال الكثير فاشكر، والشكر أن تعلم أن هذا المال الكثير هو من عند الله، وأن تستخدم هذا المال في طاعة الله، وليس في شراء المفسديون وألبسة التبرج، وتعصي الله ﷻ بهذا المال.

• أن تتحدث بنعمة الله عليك بهذا المال. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١]، أن يظهر عليك أثر هذا المال، وأن تقول به هكذا وهكذا في سبيل الله.

• إذا ابتليت في هذه الدنيا بمنصب فاعلم أن هذا ابتلاء، وأن هذا المنصب لا يدوم لك، فاتقِ الله فيه، ولا تعصي الله به، واستخدمه في خدمة الإسلام والمسلمين، وإياك أن تتخذ منصبك لمحاربة الإسلام والمسلمين.

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٩٩).

عباد الله! فالكل راجع لله والكل موقوف أمام الله، وكل واحد مجزي بما عمل.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥].

إخوة الإسلام! بذلك نكون قد انتهينا من الحديث عن دعوة إبراهيم عليه السلام.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن يحشرنا وإياكم معه ومع نبينا ﷺ في جنات النعيم



٤٧

موسى عليه السلام

عباد الله!

في الجمع الماضية تبيّن لنا كيف دعا نوح قومه إلى عقيدة التوحيد بالليل والنهار، سرّاً وجهراً، ألف سنة إلا خمسين عاماً لا يكلّ ولا يملّ.

وتبيّن لنا أيضاً كيف دعا إبراهيم عليه السلام قومه إلى عقيدة التوحيد وصبر على أذاهم.

والله عز وجل أمر رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم أن يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال ـ تعالى ـ لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤]. ورسولنا صلى الله عليه وسلم ربّى أمته على الصبر وعدم الاستعجال.

فقال صلى الله عليه وسلم، كما مر في الجمعة الماضية: «**ولكنكم تستعجلون**»(١).

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم مع الرسول الثالث من أُوْلي العزم، أتدرون من هو يا عباد الله؟ **إنه موسى** عليه السلام **كليم الله**، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

أمة الإسلام! ولد موسى عليه السلام في ظروف صعبة جداً.

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٤٤).

كان فرعون ـ عليه وعلى كل فراعنة الدنيا لعنة الله إلى يوم القيامة ـ كان يذبح أبناء بني إسرائيل الذكور، فوُلد موسى في هذه الظروف، وخافت أم موسى عليه خوفاً شديداً، ولكن انظروا ـ يا عباد الله ـ كيف يحفظ الله عباده، وكيف يدافع الله عن عباده المؤمنين، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓۖ﴾ [القصص: ٧].

عباد الله! تعالوا بنا نحكِّم العقول والعواطف في هذا الكلام: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾، ولكنه أمرٌ من خالق السمٰوات والأرض. ***عباد الله!*** ولما أمرها ربها بأن تلقيه، وعدها ربّ العزة فقال: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص: ٧].

عباد الله! انظروا أين تربَّى موسى عليه السلام؟ في بيت الذي يذبح الأولاد من بني إسرائيل، في بيت فرعون.

فوضعت أم موسى موسى في اليم فأخذه اليم، وذهب به إلى ما شاء الله ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾﴾ [القصص: ٨].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [القصص: ٩]، من الذي جعل امرأة فرعون تقول: لا تقتلوه؟ إنه هو الله الذي يحفظ عباده المؤمنين.

عباد الله! موسى وصل إلى بيت فرعون ليتربّى في بيته، ويرضع من أمه كي تقرَّ عينها ولا تحزن، إنها توكلت على الله عز وجل فانظروا كيف يحفظ الله عباده.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص: ١٤].

عباد الله! خرج موسى عليه السلام يوماً من بيت فرعون إلى المدينة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]. ندم موسى على ما صنع، وتاب إلى الله فتاب الله عليه. فأصبح موسى في المدينة خائفاً يترقب، والقوم يبحثون عنه ليقتلوه، ولكن جاء رجل من أقصى المدينة يسعى ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠]، فخرج موسى من بلاد مصر وتوجه إلى بلاد مَدْيَن عبر الصحراء بالليل والنهار فقال: ﴿عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢].

● وهناك ـ يا عباد الله ـ في بلاد مدين أمَّنه الله من الخوف، فقال الشيخ الكبير لموسى عليه السلام: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥].

● ومنَّ الله عز وجل على موسى بعمل حلال يرتزق منه، لتعلموا ـ يا عباد الله ـ كيف يهيء ربنا ـ جلَّ وعلا ـ الأسباب لمن اتقاه، ولمن آمن به، فيمنُّ عليه بالأمن والأمان ويرزقه رزقاً حلالاً بعمل مشروع.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: ٢٦].

● ومنَّ الله عليه بزوجة صالحة، فقال الشيخ الكبير: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [القصص: ٢٧].

قال موسى: ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٨].

عباد الله! لا نريد أن نتكلم عن موسى وقصته بالتفصيل، كما قلنا في بداية الكلام عن العقيدة، ولكن نريد أن نتكلم عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله لنتعلم ـ يا دعاة الإسلام ـ كيف ندعو إلى الله على بصيرة، ولا نستعجل في قطف الثمار قبل نضجها فنندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا﴾ [القصص: ٢٩]، فمشى في الصحراء بين الجبال، وبينما هو يسير مع أهله رأى ناراً فقال لأهله: ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: ١٠ ـ ١٦].

عباد الله! موسى من الآن سيدعو إلى عقيدة التوحيد بعدَ أن أوحى الله إليه.

قال ـ تعالى ـ لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه: ١٤، ١٥]. وقال ـ تعالى ـ لموسى: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه: ١٧، ١٨].

وموسى قبل قليل، قبل أن يخرج بأهله كان يرعى الغنم، وما من نبي إلا رعى الغنم؛ لأن الذي يرعى الغنم ويصبر عليها ويكون أميناً عليها هو الذي يستطيع أن يرعى الأمم ويكون أميناً عليها.

أما الذين تربوا على مائدة الكفر، وفي أحضان الكفار فلا يمكن أبداً أن يرعوا الغنم، ولا الأمم.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه: ١٩ ـ ٢٤].

عباد الله! وهل خرج موسى من بلاد مصر إلا بسبب فرعون. يقول الله تعالى لموسى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾، الأمر خطير وليس

باليسير، وهل يستطيع موسى أن يقول: لا؟ الجواب: لا، فماذا فعل موسى دعا الله ﷻ فقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٢٥ ـ ٣٦].

ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: ١٧ ـ ١٩].

ولكن موسى يطلب من ربه فيقول: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص: ٣٤، ٣٥].

والآن يتوجه موسى عليه السلام إلى بلاد مصر، لِمَ يا عباد الله؟ ليدعو فرعون إلى عقيدة التوحيد وإلى (لا إله إلا الله).

دخل موسى عليه السلام على فرعون. كيف دعاه إلى عقيدة التوحيد؟ وبماذا رد عليه فرعون؟ هذا ما نعرفه في الجمعة القادمة، إن شاء الله تعالى.

عباد الله! ما هي الدروس والعبر التي نأخذها مما سمعنا؟.

أولاً: احفظ الله يحفظك:

قال ﷺ: «**يا غلام: إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك...**»(١) الحديث.

عباد الله! انظروا كيف حفظ موسى عليه السلام أمر الله فحفظه الله.

مَن الذي حفظ موسى من الذبح؟ إنه الله، مَن الذي حفظ موسى

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، ع: (٤/ ٤٣٠)، ك: (٣/ ٦٢٣)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

وهو في اليم؟ إنه الله، مَن الذي حفظ موسى في بيت فرعون؟ إنه الله، مَن الذي حفظ موسى من القتل؟ إنه الله، من الذي حفظ موسى في طريقه من بلاد مصر إلى بلاد مدين؟ إنه الله، مَن الذي أمَّن موسى في بلاد مدين ورزقه بالعمل الحلال بالزوجة الصالحة؟ إنه الله، ولذلك عندما طلب الله من موسى أن يذهب إلى فرعون قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٨].

دعا موسى ربه، «**وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**»(١).

ثانياً: الله لا يخلف وعده:

وعد الله ﷻ أم موسى أن يردَّ إليها موسى.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص: ٧].

فالله ﷻ حرَّم المراضع على موسى فلم يرضع إلا من أمه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ وَلِتَعۡلَمَ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٣﴾ [القصص: ١٣].

وقد وعد الله ﷻ المؤمنين الصادقين بالنصر، والله لا يخلف وعده.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٥٥﴾ [النور: ٥٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، ك: (٣/ ٦٢٣)، حم: (١/ ٢٩٣)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

فالله لا يخلف وعده، ولكنكم تستعجلون.

ثالثاً: الله ﷻ يقيم حجته على عباده:

ليهلك من هلك عن بيِّنة ويحيا من حيَّ عن بيِّنة.

فالله ﷻ يعلم قبل أن تخلق السمٰوات والأرض بخمسين ألف سنة أن فرعون لن يؤمن أبداً، ومع ذلك أرسل إليه موسى، لِمَ؟ ليقيم الله حجته على العباد.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] يدعوها إلى عبادة الله فمنهم من يؤمن، ومنهم من يكفر، فالكافر يكفر بعلمه وإرادته، والمؤمن يؤمن بعلمه وإرادته، ويوم القيامة يضع الله ﷻ الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً.

والله ﷻ دائماً يذكّر عباده ويخوّفهم وينذرهم لعلهم يرجعون.

إذا كثرت المعاصي أرسل الله الزلازل على الشعوب والناس لعلهم يرجعون.

يا بني آدم، كثرت المعاصي فتوبوا إلى الله، وعودوا إلى الله، فالمؤمن عندما يسمع بزلزال يرجع إلى الله، والكافر كالحمار لا يدري لِمَ هذا الزلزال. وكذلك كسوف الشمس وخسوف القمر آيتان من آيات الله يخوّف الله بهما عباده.

كسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فنادى في المسجد فاجتمع الناس ووقفوا يصلون لله ﷻ، وبيَّن لهم الرسول ﷺ أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا تكسف الشمس ولا يخسف القمر لموت أحدٍ ولا لولادة أحدٍ، إنما هذا إنذار من الله وتخويف من الله، فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا حتى يُكشف ما بكم[١].

فيا أمة الإسلام! أستحلفكم بالله، عندما رأيتم ذلك بالأمس القريب

---

(١) انظر الحديث في خ: (٩٩٣).

مَن منكم هرول إلى المسجد، وفزع إلى الصلاة وتاب إلى الله؟ وكم من المسلمين لم يفكر في ذلك.

فالمعاصي كما هي، والعكوف على المفسديون كما هو، والتبرج كما هو، والخمور كما هي، وأكل الربا كما هو.

فالله ينذر يا بني آدم، كثر الزنا، وتركتم الصلاة...

عودوا إلى الله، فيوم القيامة ماذا تقول لربك يا تارك الصلاة، ويا آكل الربا، ويا من تركت ابنتك وزوجتك يتبرجن، إنذارات من الله ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بينة.

اللّهم ردّ المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً





دعوة موسىٰ لفرعون

عباد الله!

في الجمعة الماضية استمعنا إلى الآيات القرآنية التي يذكِّر فيها ربنا ـ جلَّ وعلا ـ رسوله موسى عليه السلام بسلاح العقيدة فيقول ـ تعالى ـ لموسى عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢]، ويقول ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤﴾، ويقول ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ۝١٦﴾ [طه: ١٤ ـ ١٦].

لتعلم ـ يا عبد الله ـ أن الذي خلقك هو الله، وأن الله خلقك لعبادته وأنك بعد هذه الدنيا راجع إلى الله، وواقف أمام الله ليجزي الله الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

عباد الله! وبعد أن سلَّح الله رسوله موسى بسلاح العقيدة أيده بمعجزتين عظيمتين؛ دليلاً وبرهاناً على صدقه وعلى أنه رسول من عند الله.

المعجزة الأولى ـ العصا:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسۡعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ۝٢١﴾ [طه: ١٧ ـ ٢١].

المعجزة الثانية ـ اليد:

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ۝٢٢﴾ [طه: ٢٢].

وقال الله ﷻ بعد ذلك لموسى: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [القصص: ٣٢].

عباد الله! بعد أن سلَّحَ الله ﷻ رسوله موسى بالعقيدة وبمعجزتين عظيمتين قال الله ـ تعالى ـ لموسى عليه السلام: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه: ٢٤].

عباد الله! إنها مفاجأة عظيمة، ومهمة صعبة لا يقدر عليها إلا رجل من أُوْلي العزم من الرسل، والله الذي لا إله غيره إن السمٰوات والأرض والجبال تعجز عن حمل هذه الرسالة، ولكن موسى عليه السلام استعان بالله، وتوكل على الله، ودعا الله ﷻ دعاءً سُجِّل له في القرآن: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه: ٢٥ ـ ٣٥].

فقال الله له: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٣٦]، فاستجاب الله له.

عباد الله! وحرصاً من موسى على تبليغ الرسالة ماذا قال؟.

قال ـ تعالى ـ على لسان موسى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الشعراء: ١٢ ـ ١٥].

فالله ﷻ طمأن موسى وقال له: إنه معه بسمعه ونصره، وتأييده وحمايته، وإذا كان الله معك فمعك القوة التي لا تهزم.

عباد الله! موسى يعود الآن من الوادي المقدس، موسى يعود الآن من البقعة المباركة إلى زوجته التي كان قد قال لها: ﴿ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]، رجع موسى إلى زوجته وأخذها، وتوجه بها إلى بلاد مصر، وهناك يلتقي موسى مع أخيه هارون ويخبره الخبر، ويخبره بما كلفهما الله من أن يذهبا إلى فرعون، وهناك

أوحى الله ﷻ إلى موسى فقال له: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٢ ـ ٤٤].

موسى ينطلق مع هارون إلى قصر فرعون، وبعد قليل يلتقي الحق مع الباطل، والإيمان مع الكفر، وبعد قليل يلتقي أولياء الرحمان مع أولياء الشيطان.

نعم الحق والإيمان مع موسى، والباطل والكفر مع فرعون.

ها هو فرعون، أتعرفونه يا عباد الله؟ جاوز الحدود وبالغ في الطغيان حتى إنه قال لقومه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨].

عباد الله! كيف وصل موسى إلى قصر فرعون ودخل عليه؟ هذا لا يهمنا، المهم أن موسى الآن يقف أمام فرعون، فماذا قال موسى لفرعون؟ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأعراف: ١٠٤، ١٠٥].

وقال موسى أيضاً لفرعون: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [طه: ٤٧، ٤٨].

وقال موسى له: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: ١٨، ١٩]، أما آن الآوان يا فرعون أن تتزكى!.

عباد الله! فرعون يجلس مع بطانته ويستمع إلى كلام موسى، هذا الكلام العجيب، ويفكر وهو ينظر إلى موسى ويقول في نفسه: أليس هذا هو موسى الذي تربّى في بيتنا، وأطعمناه عندنا، وقتل رجلاً منا، ثم فر هارباً، والآن يأتي ويتكلم هذا الكلام العجيب! لا يصدق فرعون ما يسمع، المهم ماذا كان الرد من فرعون؟ وماذا كان الجواب من موسى؟ تعالوا بنا ـ عباد الله ـ إلى سورة الشعراء، فهناك يخبرنا ربنا بما كان بين

موسى وفرعون، ويخبرنا عن انتصار موسى على فرعون في جميع المجالات بالحجة، والبرهان، والدليل.

قال ـ تعالى ـ على لسان موسى: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الشعراء: ١٦، ١٧].

قال فرعون بسخرية واستهزاء: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ فدافع موسى عن نفسه وقال: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ [الشعراء: ١٨ ـ ٢٢].

عباد الله! يقول موسى: يا فرعون تَمُنُّ عليَّ أنك أحسنت إلى رجل واحد من بني إسرائيل، وأنت قد استعبدت شعباً كاملاً!؟ فيسأل فرعون سؤالاً فيه سخرية فيقول: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؟ فيقول موسى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾، فانتصر موسى على فرعون، وبيّن له وللناس أن فرعون ليس ربّاً لهم، وهل يستطيع فرعون أو تستطيع الفراعنة أن تقول أنهم هم الذين خلقوا السمٰوات والأرض؟ وهل قال ذلك أحد من البشر، الجواب: لا؛ لأنهم لا يستطيعون ولا يقدرون، فقال فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾، فقال موسى للمرة الثانية: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، فقال فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾، فقال موسى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾، فانتصر موسى وبيَّن لفرعون ومن حوله أن فرعون ليس ربّاً للناس كما يدّعي، فلجأ فرعون إلى التهديد بعد أن انهزم في الجولة الأولى، فقال فرعون لموسى: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾، وهذا فعْلُ الفراعنة والظلمة دائماً التهديد والسجن، غضب فرعون وانفعل، ولكن موسى يقول له بكل هدوء: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾، فقال فرعون: ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣ ـ ٣١] هات ما معك من الأدلة على أنك رسول من ربّ العالمين، ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ

بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأعراف: ١٠٧، ١٠٨]، فانهزم فرعون للمرة الثانية فلجأ إلى الاتهامات، فقال للملأ حوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾، بعد التهديد يلجئون إلى الاتهامات الباطلة، ثم لجأ إلى التحريض على موسى قال: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الشعراء: ٣٥] موسى جاء بعد عشر سنين يريد أن يأخذ أرضكم فماذا تأمرون؟.

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الشعراء: ٣٦، ٣٧].

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ [طه: ٥٧ ـ ٥٩]، وهذا يوم يجتمع فيه الناس، فاتفقوا على أن يجمعوا الناس في صعيد واحد، وأن يأتوا بكل السحرة لينزلوا في المباراة مع موسى لينتصروا ـ كما ظنوا ـ على موسى، فيقضوا على ما جاء به موسى، ومكروا ومكر الله، والله خير الماكرين.

عباد الله! كيف جمع فرعون السحرة؟ وماذا قالت السحرة لفرعون؟ وماذا قال موسى للسحرة؟ وما هي نتيجة المباراة؟ هذا ما نعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله ـ.

عباد الله! ما هي الدروس التي تؤخذ مما تقدم؟.

أولاً: على الداعية أن يكون دائماً ذاكراً لله، متوكلاً عليه مستعيناً به، مخلصاً في دعوته لله، حكيماً في دعوته، يتكلم بالكلام المناسب في الوقت المناسب، في المكان المناسب.

وهذا نأخذه من قوله ـ تعالى ـ لموسى وأخيه هارون: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٢ ـ ٤٤]، والله عز وجل يقول لرسوله ﷺ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥]،

وإن كان الذي تدعوه طاغية وظالماً فعليك باللين والحكمة، أما السب والشتم على المنابر فما علمنا ذلك من هدي رسول الله ﷺ، ولا علمنا ذلك من سنّة أصحاب رسول الله ﷺ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فالمنابر ليست موضعاً للسب والشتم وإنما لتذكير الناس بالله واليوم الآخر.

عباد الله! الله يعلم أن فرعون طاغية، وبَلَغَ من طغيانه أنه قال للناس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال للناس: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ومع ذلك قال الله لموسى وهارون: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

ثانياً: على الدعاة أن يتسلّحوا بسلاح العلم.

أي عليهم أن يستغلوا أوقاتهم في طلب العلم، وأن يكونوا على علم بما يدعون الناس إليه، ففاقد الشيء لا يعطيه، فكثير من الدعاة قبل صلاة الجمعة بنصف ساعة يقرأ عنواناً في الجريدة، فيبني خطبته على هذا العنوان، فتأتي الخطبة خالية من (قال الله)، و(قال رسول الله)؛ ويخرج الناس وما استفادوا شيئاً، والله ﷻ يقول: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]؛ أي: على علم، فتسلّحوا بالعلم ـ يا دعاة الإسلام ـ؛ لأنكم إذا دعوتم الناس على غير علم فعرضوا عليكم الشبهات ـ كما عرضها فرعون على موسى فقضى موسى عليها بالحجة والبرهان ـ فإنكم ستعجزون عن رَدِّ تلك الشبهات.

عباد الله! الداعية إذا كان على علم بالكتاب والسنّة، وعرضت له الشبهات قضى عليها بما معه من: (قال الله)، و(قال رسول الله ﷺ).

ثالثاً: السلام والأمن والأمان والحياة الطيبة في اتباع الهدى الذي جاء من عند الله، والعذاب والضنك والشقاء والذل والهوان في التكذيب والإعراض عن الهدى الذي جاء من عند الله.

أخذنا ذلك من قوله ـ تعالى ـ على لسان موسى وهارون: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [طه: ٤٧ ـ ٤٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٧]، وهذا حالنا لا يخفى على أحد: ضنك، ذل، هوان، أمراض، لا نعرف طعم الطمأنينة في الحياة، لِمَ؟ لأنّا أعرضنا عن القرآن والسنّة، فأكلنا الربا، وتبرجت نساؤنا.

الإسلام في وادٍ ونحن في وادٍ آخر، واللهُ ﷻ لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، أما آن الآوان أن نعود إلى الله ونتمسك بالكتاب والسنة؟!.

قال ﷺ: «**تركت فيكم شيئين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنّتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض**»(١).

فهل من عودة إلى الكتاب والسنّة لنصبح أمة واحدة؟!.

فهل من عودة إلى طاعة الله؟!.

فهل من عودة إلى ديننا؛ لتعود لنا العزة والسيادة والأمن والأمان؟!.

لا نيأس، ولكن نقول:

اللّهم ردّ المسلمين إلى دينهم ردّاً جميلاً

* * *

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، قط: (٤/ ٢٤٥)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].



موسى والسحرة

عباد الله!

تكلمنا في الجمعة الماضية عن موسى عندما أمره ربه أن يذهب إلى فرعون.

فقال له: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النازعات: ١٧]، ليدعوه إلى عقيدة التوحيد، فاستجاب موسى عليه السلام لأمر ربه، وذهب إلى فرعون، ودعاه إلى عقيدة التوحيد بالحكمة والموعظة الحسنة، وأقام موسى على فرعون الحجة بالدليل والبرهان، وبيَّن موسى لفرعون جميع الآيات التي تدل على أن موسى رسول من عند الله، ومع ذلك كذَّب فرعون بجميع الآيات وتولى واستكبر، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ [طه: ٥٦].

عباد الله! تعالوا بنا في هذا اليوم لنستمع إلى فرعون وقومه، ماذا قالوا عن موسى بعد أن دعاهم لعقيدة التوحيد وانتصر عليهم بالحجة والبرهان؟ لقد رموه بالسحر فقالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩].

وقالوا له: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٥٧].

فقال لهم موسى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ [طه: ٥٩].

عباد الله! اتفقوا جميعاً على هذا اليوم ـ وهو يوم الزينة، وهو يوم معروف عندهم في ذلك الزمان، يعرفه الجميع ـ بأن يلتقي السحرة مع موسى عليه السلام.

أمة الإسلام! ها هو فرعون بعد أن اتفقوا على الموعد، تولى ليستعد لهذا اللقاء، ليكيد بموسى عليه السلام، يريد فرعون أن ينتصر السحرة على موسى

ليقضي على موسى وما جاء به ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾ [طه: ٦٠]، ونادى في المدائن: ائتوني بكل ساحر عليم.

عباد الله! جاء السحرة بأمر من فرعون من جميع البلاد ليشهدوا هذا اللقاء والموعد، وكان الإعلام في ذلك الزمان يحرِّض الناس ضد موسى ويقول الإعلام للناس في ذلك الوقت: لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين.

كما أخبر بذلك ربنا ـ جلَّ وعلا ـ فقال: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشعراء: ٣٨ ـ ٤٠].

عباد الله! وحضر عدد كبير من السحرة، قالوا في كتب التفسير: بلغ عددهم ثمانين ألفاً، وقبل أن يلتقوا بموسى تقدموا بطلب إلى فرعون، أتدرون ماذا يريدون يا عباد الله؟ يريدون مالاً وأجراً ومنصباً في الدولة التي يقودها فرعون إن هم انتصروا على موسى، وهذا هو شأن أهل الدنيا في كل زمان ومكان لا يريدون إلا الدنيا ولا يطلبون إلا الدنيا.

قال ـ تعالى ـ عن السحرة: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [الشعراء: ٤١، ٤٢].

يا فرعون أئِنّ لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين؟ قال لهم: نعم، الأجر كبير، وأنتم من المقربين؛ أي: ستُعينون في مناصب عالية، فطمَّعهم بالمال والمنصب؛ ليستطيعوا بكل ما عندهم من فن السحر وقوته أن ينتصروا على موسى وما جاء به.

عباد الله! جاء اليوم الموعود، جاء يوم الزينة، واجتمع السحرة من كل مكان، وجاء الناس من كل مكان قائلين: لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين، نزل السحرة صفاً واحداً إلى أرض المباراة، ونزل موسى وحده بعصاه متوكلاً على الله، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

عباد الله! تصوَّروا معي الآن، الأرض واسعة، والناس في كل مكان ينتظرون هذا اللقاء، وفرعون قد جلس على كرسيه وحوله حاشيته وبطانة السوء، ينتظرون ماذا يصنع السحرة بموسى، والسحرة وقفوا صفاً واحداً وهذا موسى الآن يتقدم قبل اللقاء ليتكلم مع السحرة، أتعلمون ماذا يقول موسى للسحرة؟ إنه ينصحهم، ويحذرهم قبل اللقاء ـ وهذا واجب ـ فتقدم موسى إلى السحرة وقال لهم بعزة وكرامة: يا معشر السحرة ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]، ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ [طه: ٦١]، ولكن السحرة لم يستجيبوا لنصيحة موسى، واجتمعوا فيما بينهم ليتخذوا قراراً في موسى، أتدرون ماذا قالوا عن موسى وهارون؟ ﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾ [طه: ٦٣، ٦٤]، فقرروا أن يلتقوا مع موسى؛ لأن فرعون قد أغراهم بالأموال الكثيرة، والمناصب العالية.

إخوة الإسلام! تقدم السحرة الآن إلى موسى ماذا قالوا؟ ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [الأعراف: ١١٥].

﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الشعراء: ٤٤].

عباد الله! موقف عظيم سحروا فيه أعين الناس.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف: ١١٦]، وأظنكم تتصورون معي الآن السحرة وقد فعلوا ما فعلوا، وبنص القرآن أنهم جاؤوا بسحرٍ عظيم، والناس قد ارتفعت أصواتهم وكأنني أنظر إلى فرعون وهو يتبسم؛ لأنه قد اطمأن أن موسى قد انهزم، وماذا يفعل موسى وحده مع ما رأى من السحر العظيم، فالأصوات ترتفع كما هو شأن الرعاع من الناس، وظنوا أنهم قد هزموا موسى وانتصروا عليه؛ لأن الأمر عجيب، ولكن الله ﷻ

أوحى إلى موسى في هذه اللحظة أن: ألق عصاك، فألقى موسى عصاه، فإذا هذه العصا تتحول إلى حية كبيرة حقيقية تبلع ما صنعوا.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأعراف: ١١٧] مفاجأة! أمر عجيب!! وكأنني أتصور الناس الآن مع فرعون وقد وضعوا أيديهم على رؤوسهم من شدة المفاجأة، ومن شدة الحسرة، عصا موسى ابتلعت ما صنعوا، عصا موسى فعلت ما لم يخطر لهم على بال، أتدرون ما هي نتيجة المباراة، وما هي نتيجة هذا اللقاء؟.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف: ١١٨ ـ ١٢٢]؛ أي: جاء الحق وزهق الباطل، وهكذا ـ يا عباد الله ـ مهما علا الباطل ومهما انتشر فإذا ظهر الحق اختفى الباطل، أين الليل إذا جاء النهار؟ أين هو؟ كذلك إذا جاء الحق زهق الباطل.

عباد الله: نتيجة لم تخطر على قلب بشر، قال السحرة: آمنا برب العالمين رب موسى وهارون، أتدرون ماذا فعل فرعون؟ لا يملك في هذا الوقت ـ كما هو شأنه دائماً عندما ينهزم ـ إلا التهديد، وهل يملكون إلا التهديد؟! هذا هو سلاحهم: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأعراف: ١٢٣، ١٢٤]، أنت يا فرعون مسكين، وهل يحتاج الإيمان إلى إذن!؟ من الذي استأذن عندما أراد أن يدخل في الإيمان؟! ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، بعد هذا التهديد ماذا قال السحرة؟ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأعراف: ١٢٥]، الله أكبر!! هكذا إذ تمكن الإيمان في القلب! قالوا: يا فرعون إذا فعلت ما فعلت من الصلب والتعذيب، فإننا بعد ذلك ـ أي ـ بعد خروج الروح ـ إلى ربنا منقلبون؛ أي: أنهم يجدون عند الله

ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ثم قالوا له: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وفرعون لا زال يهدد بالصلب والعذاب الشديد، ومع ذلك السحرة الذين آمنوا يقولون لفرعون: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه: ٧٢، ٧٣]، ثم يتحول السحرة بعد أن كانوا يطلبون الدنيا إلى دعاة يدعون فرعون والناس إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، قال ـ تعالى ـ على لسان السحرة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾ [طه: ٧٤ ـ ٧٦].

عباد الله! هكذا لا يحيق المكر السيء إلا بأهله، مكر فرعون بموسى فوقع فيما مكر، أراد فرعون أن ينتصر على موسى فأخزاه الله وآمن السحرة وعلم الناس جميعاً أن الحق مع موسى، وأن الباطل مع فرعون، فالله ﷻ يؤيد بنصره من يشاء، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.

أمة الإسلام! ماذا فعل فرعون بعد هذه الهزيمة؟ وماذا قال؟ وماذا فعل موسى بعد هذا الانتصار؟ هذا الذي نعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

إخوة الإسلام! ما هي الدروس والعبر التي تؤخذ مما سمعنا؟

أولاً: الإنسان بدون الإيمان في هذه الدنيا لا هَمَّ له إلا الدنيا، ولا يعمل إلا من أجلها، ولا يطلب إلا متاعها الفاني أما إذا دخل الإيمان في القلب وتمكن منه، فالمؤمن بعد إيمانه لا يطلب إلا الآخرة، ولا يعمل إلا للآخرة وهذا أخذناه من موقف السحرة قبل الإيمان وبعد الإيمان.

قبل الإيمان عندما جاؤوا من كل مكان قالوا لفرعون: ﴿إِنَّ لَنَا

﴿لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٣]، فلم يطلبوا إلا الدنيا، ولكن بعد أن آمنوا وهددهم فرعون بالصلب والعذاب، انظروا ماذا قالوا؟ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝١٢٥﴾ [الأعراف: ١٢٥] فهم لا يريدون الآن إلا الآخرة.

وقالوا: ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾، فهم لا يريدون إلا الآخرة.

وقالوا لفرعون: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾، وهكذا ـ يا عباد الله ـ الإنسان في هذه الدنيا إذا ازداد الإيمان في قلبه نراه لا يريد إلا الآخرة، يحافظ على الصلاة، يأمر بالمعروف ينهى عن المنكر، يتصدق، يزكي، يبر والديه، يسارع إلى الخيرات، كلما ازداد الإيمان كلما أقبل على الآخرة، وكلما ضعف الإيمان كلما أعرض عن الآخرة وقال: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ٦]، فانظروا إلى كثير ممن انشغلوا بالدنيا كيف ضيعوا الصلاة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

فيا أخا الإسلام: انظر إلى نفسك الآن، هل تحافظ على الصلاة؟ هل تبادر إلى الأعمال الصالحة؟ هل تسارع إلى رضا الله والجنة؟ إن كنت كذلك فأنت على خير، وإن كنت ممن ضيعوا الصلاة في جماعة أو ممن لا يعرفون المسجد إلا في يوم الجمعة أو ممن يأكلون الحرام، فاعلم بأنك على خطر عظيم، فبادر بالتوبة النصوح إلى الله قبل فوات الأوان.

ثانياً: الناس يوم القيامة فريقان: فريقٌ في الجنة وفريق في السعير. فريق الجنة هم المؤمنون، وفريق النار هم المجرمون. فيوم القيامة يأتي الرجل إما مؤمناً وإما كافراً، وهذا أخذناه من قوله ـ تعالى ـ على لسان السحرة: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝٧٤ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝٧٥﴾ [طه: ٧٤، ٧٥].

فيا أخا الإسلام: احرص أن تخرج من هذه الدنيا على الإيمان لتلقى الله مؤمناً، واحذر أن تخرج من هذه الدنيا على المعاصي فتلقى الله مجرماً.

فالله ﷻ أعد النار للمجرمين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا ۝٥٣﴾ [الكهف: ٥٣].

ابن آدم! المجرم يوم القيامة يتمنى لو يفتدي من عذاب يومئذٍ ببنيه وصاحبته، وأخيه، وفصيلته التي تؤويه، ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه، فيقال له: كلا.

ابن آدم!

مَثّلْ وقوفَكَ يومَ الحشر عريانا ... مستوحشاً قَلِقَ الأَحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظٍ ومن حنق ... على العصاة وربّ العرش غضبانا

يقال لك:

اقرأ كتابك يا عبدي على مهلٍ ... فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته ... إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المجرمون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون في دار الخلد سكانا

أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن يجمعنا وإياكم في جنات النعيم
اللّهم إني أسألك رضاك والجنة، وأعوذ بك من سخطك والنار



٥٠

موسى عليه السلام وفرعون

عباد الله!

● في الجمعة الماضية استمعنا إلى اللقاء الذي كان بين موسى عليه السلام وبين السحرة، وتبيّن لنا نتائج هذا اللقاء، كما أخبرنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه فقال:

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف: ١١٨ ـ ١٢٢].

● واستمعنا أيضاً إلى التهديد الذي أصدره فرعون للسحرة عندما آمنوا بربّ موسى وهارون، فقال ـ تعالى ـ على لسان فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأعراف: ١٢٣، ١٢٤].

● واستمعنا أيضاً إلى رَدِّ السحرة على تهديد فرعون بعد أن آمنوا برب موسى وهارون فقالوا: ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه: ٧٢، ٧٣].

عباد الله! فرعون بعد هذه الهزيمة في حيرة من أمره، يفكر ماذا يفعل بموسى وبما جاء به؟ وبينما هو على هذه الحالة يفكر، وإذا ببطانة السوء تدخل عليه ليحركوا بواعث الشر فيه ضد موسى! فماذا قالت بطانة السوء؟ قالوا: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ﴾

[الأعراف: ١٢٧]؛ أي: قالت بطانة السوء: أتترك موسى ليفسد في الأرض هو وقومه ويذرك وآلهتك؟!.

فماذا قال فرعون: ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، أيها الظالم! ما ذنب الأبناء والنساء!؟.

عباد الله! ووصلت الأخبار إلى موسى عليه السلام، فماذا قال موسى لقومه: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وهكذا فليكن المؤمن إذا هُدِّد استعان بالله وحده، فمن استعان بالله أعانه، ومن استعان بغير الله أذله.

عباد الله! فرعون أخذ يستخف بقومه من خلال وسائل الإعلام، ويسخر من موسى ويستهزئ به، كل ذلك لينفِّر الناس عنه، فاستمعوا ماذا قال فرعون، كما أخبرنا ربنا في كتابه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف: ٥١ ـ ٥٤]، يسخر من موسى ويستهزئ به، ولم يكتف بذلك بل تعالى في الأرض، واتهم موسى بالكذب أمام الناس، حرب إعلامية ـ كما نرى اليوم ـ على الإسلام والمسلمين، فرعون يقول كما أخبرنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [القصص: ٣٨، ٣٩]، فرعون يطلب من وزيره هامان وزير السوء أن يبني له صرحاً عالياً ليصعد عليه، يقول: لأطلع إلى إله موسى، وهذا فيه إشارة أن موسى عليه السلام أخبر فرعون أن الله الذي أرسله استوى

على عرشه فوق سماواته، استواءً يليق بجلاله ليس كاستواءِ المخلوقين، وهو غني عن العرش وما دون العرش، وقد قالها فرعون استهزاءً وسخريةً، ولكنْ في ذلك دليل على أن هذا من العقيدة التي يجب على الدعاة أن يدعوا الناس إليها، فيعرِّفونهم أن الرحمٰن على العرش استوى استواءً يليق بجلاله.

عباد الله! قال فرعون ما قال، وسخر من موسى واستهزأ به وتوعده... والأخبار تصل إلى موسى فماذا يفعل؟ وبماذا يتسلح؟ استخدم موسى سلاحاً واحداً ضد هذا التهديد الذي يأتيه يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة من فرعون، أتدرون ما هو السلاح إنه (الدعاء)، وقف موسى ودعا ربه وأخذ هارون يؤمِّن على دعائه، وأخبرنا الله بهذا الدعاء في كتابه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس: ٨٨]، فقال هارون: آمين، فأنزل الله ﷻ: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس: ٨٩]، دعا موسى على فرعون، متى يستجيب ربنا دعاء موسى ليهلك فرعون وقومه؟ الله أعلم، المهم أن موسى دعا وأخبره الله أنه استجاب له؛ أي: أن الله ﷻ سيهلك فرعون وقومه. كيف؟ ومتى؟ لا يدري موسى ولا يعلم.

عباد الله! فرعون لم يكتفِ بذلك ولكنه دعا إلى اجتماع طارىء ليتخذ قراراً نهائياً في أمر موسى، أتدرون ما هو هذا القرار؟ أن يقتل موسى ويتخلص منه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ﴾ اتركوني أقتل موسى؛ السبب: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] عجباً! الموازين اختلتْ، فرعون يخاف على الناس من موسى؟! (نعم)؛ لأن موسى يدعوهم إلى عبادة الله، موسى

يدعوهم إلى (لا إله إلا الله) وإلى جنة عرضها السمٰوات والأرض. وبَيَّن فرعون للناس أنه على الحق، وأن موسى على الباطل، وأنه يصلح وموسى يفسد، وأنه يخاف على دين الناس من أن يبدله موسى! فلا تعجب ـ يا عبد الله ـ فالناس إذا فسدت عقولهم، واسودت قلوبهم وفسقوا عن طريق ربهم استخفهم الظلمة فاستجابوا لهم، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف: ٥٤].

اجتمع فرعون وقرر أن يقتل موسى، وصل الخبر إلى موسى ـ فتعلَّموا ـ يا عباد الله ـ واستفيدوا من القرآن قبل أن تصبحوا في يوم وقد رُفع فيه القرآن إلى الله فلا تجدوا القرآن الذي بين أيديكم ـ ماذا قال موسى بعد أن وصله هذا القرار؟ إن فرعون قرر أن يقتلك، قال ـ تعالى ـ على لسان موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر: ٢٧]، التجأ موسى إلى الله، ولم يلتجىء إلى الشرق ولا إلى الغرب، لم يلتجئ إلى عضلاته وقوته ولا إلى عشيرته، إنما التجأ إلى الله واستعان به، فاحتمى موسى بالقوة التي لا تهزم.

إخوة الإسلام! ويحضر هذا الاجتماع الذي عقده فرعون رجلٌ كان قد آمن بموسى، ولكنه يكتم إيمانه خوفاً من فرعون، فلما سمع هذا الرجل الذي يكتم إيمانه القرار الجائر من فرعون بقتل موسى لم يصبر، فالإيمان يتحرك ويدفعه إلى النصيحة، الإيمان يدفعه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأخذ هذا الرجل المؤمن يقدم النصائح في هذا الاجتماع الجائر فماذا قال؟ هذا ما يخبرنا به ربنا في سورة غافر؟.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر: ٢٨]، يقول: يا قوم اتخذتم قراراً بقتْل موسى فما هي الجريمة التي ارتكبها؟ إلا أنه يقول: ربي الله؟! وهل إذا قال الإنسان: ربيَ الله، فهو مجرم؟ ماذا قال موسى؟ قال: ربي الله،

هل موسى طلب من السحرة أن يؤمنوا؟ هل موسى طلب من السحرة أن يحبوه؟ لا، ويا قوم الرجلُ قد جاءكم بالآيات البينات من ربكم.

عباد الله! وها هو الرجل المؤمن يذكرهم بعاقبة الأمم السالفة التي كذبت رسلها، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾﴾ [غافر: ٣٠، ٣١].

ويذكرهم بيوم القيامة: ﴿وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: ٣٢، ٣٣].

يوم القيامة: يوم ترجعون إلى الله، يوم تقفون بين يدي الله حفاة عراة غرلاً، ويقول الرجل المؤمن لقومه في هذا الاجتماع.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ...﴾ إلى آخر ما قال، ثم قال في نهاية نصيحته: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر: ٣٨ ـ ٤٤].

فستذكرون ذلك عندما ينزل بكم العذاب في الدنيا، وعندما يحل بكم العذاب يوم القيامة، ثم فوض الرجل أمره إلى الله، وقد أعلن إيمانه أمام الملأ وقد عرفوا أنه آمن بموسى، وأنه يدافع عن موسى، ولكن نصحهم، وهذه كلمة حق عند سلطان جائر قالها بالحق واللين والموعظة الحسنة، فتعلّموا ـ يا دعاة الإسلام ـ هذا الرجل المؤمن قال هذه الكلمة: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [غافر: ٤٤].

إخوة الإسلام! ماذا فعل فرعون بهذا الرجل المؤمن بعد أن تبين له أنه قد آمن بموسى؟ وماذا فعل فرعون بموسى بعد هذا الاجتماع؟ وماذا فعل موسى بعد ذلك؟ هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

إخوة الإسلام! ما هي الدروس والعبر التي تؤخذ مما سمعنا؟.

أولاً: على المؤمن في هذه الدنيا إذا وقع في شدة وكرب، وإذا هُدد وظُلم أن يلتجىء إلى الله، وأن يستعين بالله وحده، وهذا نأخذه من فعل موسى عليه السلام عندما قال فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، قال موسى لقومه: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وعندما قال فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر: ٢٦].

ماذا قال موسى؟ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر: ٢٧].

• ويونس عليه السلام عندما وقع في الشدة، وأحاطه الغم من كل مكان، فماذا فعل وبمن التجأ؟ التجأ إلى إخوانه من الأنبياء؟! دعا الأنبياء والصالحين؟! استعان بغير الله؟!.

لا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧]، ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٨].

• وإبراهيم عليه السلام عندما وضع في النار بمن استعان؟ وعلى من توكّل؟ قال: «**حسبي الله ونعم الوكيل**»[1]، فنجّاه الله من النار.

• ومحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه عندما قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

• ويعقوب عليه السلام عندما جاءه الخبر بأن يوسف قد أكله الذئب ماذا قال؟ قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، فاستعان بالله في هذا الكرب.

• عائشة رضي الله عنها عندما ضاق بها الأمر، وقيل فيها ما قيل تنظر عن

(١) **صحيح**: خ: (٤٢٨٨).

يمينها وشمالها ومن أمامها ومن خلفها، فلا ترى أحداً يقف معها وهي بريئة، فماذا قالت؟ قالت: (والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾)(١) [يوسف: ١٨]. هذا درس عظيم، يجبُ علينا أن نعض عليه بالنواجذ، وهو أننا عند الكرب نلتجئ إلى الله، فإذا التجأنا إلى الله فمعنا القوة التي لا تهزم.

ثانياً: الإيمان إذا تمكن من القلب دفع صاحبه إلى النصيحة وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمؤمن دائماً ناصح والمنافق دائماً فاضح، ولذلك المؤمن إذا نصحك ينصحك برفقٍ ولينٍ، وفيما بينك وبينه.

أما المنافق ـ لأنه يريد أن يفضحك ـ فتراه يتكلم على الملأ وفي كل مكان، قلبه أسود لا يعرف الإيمان، وهو يعلم أَنه كاذب فيما يقول، فالمنافقون عندما قيل لهم: آمنوا كما آمن الناس؛ آمنوا كما آمن الصحابة، قالوا: أنؤمن كما آمن السفهاء؟ وهم يعلمون أنهم هم السفهاء.

وكذلك المؤمن ينصح ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذا نأخذه من موقف الرجل المؤمن من آل فرعون الذي كان يجلس في الاجتماع يكتم إيمانه، ولكن عندما سمع قراراً جائراً لقتل موسى تكلم ونصح؛ لأن إيمانه دفعه إلى ذلك، ولذلك وصف ربنا ـ جل وعلا ـ المؤمنين والمؤمنات بصفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

لقد ربط رسولنا ﷺ بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين الإيمان، فإذا كان الإيمان في قلب الرجل، فإنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وإذا خلا القلب من الإيمان، فلا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، وربما اسود قلبه فأمر بالمنكر ونهى عن المعروف.

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٥١٨)، م: (٢٧٧٠).

ولذلك قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»(١).

والرجل المؤمن الذي في قلبه إيمان إذا رأى زوجته وقد أرادت أن تتبرج وتخرج إلى الشارع تخالط الرجال الأجانب، تراه إذا كان إيمانه قوياً يغير ذلك بكل ما يملك، ولكن إذا كان القلب قد خلا من الإيمان فإنه لا يتأثّر ولا يغضب بل يفرح؛ بل لا يرى في ذلك بأساً إن تبرجت وصارت خلفه كاسية عارية، والجريمة الكبرى إذا كان هو الذي أمرها بالتبرج! نقول: هذه هي الدياثة، أعاذنا الله وإياكم منها.

إذا غاب الإيمان عن القلوب انتشرت المعاصي، فالمعاصي لها علاقةٌ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر قلَّت المعاصي، وإذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ازدادت المعاصي. وأظن أنه لا يختلف اثنان في هذا الزمان أن المعاصي كثرت، قال ـ تعالى ـ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ . . .﴾ [الروم: ٤١].

لأن الجميع يقول: نفسي نفسي وليهلك الجميع. فيا دعاة الإسلام مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى لا تنتشر بينكم المعاصي؛ لأنها إذا انتشرت وكثرت نزل العذاب من ربّ العالمين، كما قال ﷺ عندما سُئل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»(٢).

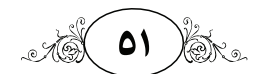
اللّهم فقّهنا في الدين اللّهم ردّ المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً

❊ ❊ ❊

---

(١) **صحيح**: م: (٤٩).

(٢) **صحيح**: خ: (٣١٦٨)، م: (٢٨٨٠).



٥١

هلاك فرعون

عباد الله!

في الجمعة الماضية استمعنا إلى مؤمن آل فرعون، وهو يقدم نصائحه إلى قومه، وقال في نهاية كلامه: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر: ٤٤].

إخوة الإسلام! ولكن فرعون وقومه لم يستجيبوا لهذا الرجل المؤمن وأصرُّوا على كفرهم وعنادهم حتى إن فرعون أنهى اجتماعه بقوله: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]؛ أي: لا أرى إلا ما قلت: أن نقتل موسى ونستريح منه، وبعد الاجتماع قرر فرعون وقومه أن يمكروا بهذا الرجل المؤمن، ولكن الله ﷻ وقاه سيئات ما مكروا، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ [غافر: ٤٥].

عباد الله! فرعون أخذته العزة بالإثم فتمادى في كفره وعناده وتكذيبه واستهزائه بموسى عليه السلام، فأرسل الله ﷻ إليه الإنذارات، فأخذهم بالسنين، ونقص من الثمرات، وأرسل عليهم العذاب بمثابة الإنذار لعلهم يذَّكرون، ولعلهم يرجعون عما كانوا يعملون.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣٠ ـ ١٣٣].

والله ﷻ من سننه أن يأخذ الناس بالبأساء والضراء لعلهم يرجعون، يوسع عليهم في المال، ويكثر عليهم في الرزق، لعلهم يرجعون، يبتليهم بالأمراض لعلهم يرجعون، ولكن دون جدوى أصر فرعون على ما هو عليه، وقال لموسى: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأعراف: ١٣٢].

عباد الله! وكان إذا نزل العذاب بفرعون وقومه هرولوا إلى موسى وقالوا: ﴿يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]. وهكذا ـ يا عباد الله ـ الفراعنة والظلمة في كل زمان ومكان، ومع أنهم يحاربون الإسلام وأهله، لكنهم إذا وقعوا في شدة أو وقعوا في مرض عضال وطافوا البلاد فلم يجدوا الدواء قالوا: عليكم بأهل الدين، فإنهم يقرأون القرآن ففيه شفاء، وكذلك قوم فرعون كان إذا نزل به العذاب من الله ﷻ هرول إلى موسى.

يقول الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأعراف: ١٣٥]؛ أي: ينقضون العهد.

عباد الله! أصرّ فرعون على ما هو عليه، فأوحى الله إلى عبده ورسوله موسى أن يخرج هو ومن آمن معه من بلاد مصر، واستجاب موسى لأمر ربه فتجهز هو ومن معه، وفي وقت متأخر من الليل خرج موسى ومن معه رجالاً ونساءً وأطفالاً.

عباد الله! ها هو موسى يخرج بقومه ليلاً، كيف سار بالليل؟ وإلى أين ذهب؟ كان الله ﷻ يأمره وهو يستجيب، وفي الصباح وصلت الأخبار إلى فرعون أن موسى ومن معه قد خرجوا من البلاد فطار عقله، وجنّ جنونه، وأخذ يرسل في كل اتجاه في المدائن حاشرين تعميماً سريعاً في كل البلاد ليمسكوا بموسى ومن معه، كما أخبرنا ربنا في كتابه، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الشعراء: ٥٣ ـ ٥٦].

عباد الله! فرعون يجهز جيشه بنفسه، جيش كثير لا مثيل له، ويقود فرعون الجيش بنفسه!.

وفي اليوم التالي مع طلوع الشمس تراءى الجمعان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۝٦٠ فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١﴾، نظر أصحاب موسى أمامهم فإذا البحر، ونظروا خلفهم فإذا فرعون يأتي من بعيد، فقال أصحاب موسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، قال: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٠ ـ ٦٢]، إنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

أي: معي ربّي بحفظه ورعايته وتأييده ونصره، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۝٦٠ فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٦٢ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ۝٦٣﴾ [الشعراء: ٦٠ ـ ٦٣].

سبحانك يا الله نشهد أنك إلهٌ تُعبد.

يا موسى اضرب بعصاك البحر، فضرب موسى البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم؛ كالجبل العظيم.

انظروا ـ عباد الله ـ إلى هذا المشهد العظيم الذي يصوره الله لكم في القرآن، ها هو البحر أمام موسى قد انفلق بأمر الله، فأصبح كل فرق كالطود العظيم، وجعل الله لهم في البحر طريقاً يابساً، وأخذ موسى يمر هو ومن معه لينجو من فرعون وقومه.

عباد الله! ها هو موسى قد جاوز البحر، وقد خرج هو ومن معه إلى الشاطىء الثاني بسهولة ويسر بأمر من الذي يقول للشيء: كن، فيكون. عباد الله! البحر جند من جنود الله وما يعلم جنود ربك إلا هو، وقد وصل فرعون إلى البحر، وفرعون يجبن أن يعبر خلف موسى، وأراد موسى عندما نجا إلى الشاطىء الثاني أن يضرب البحر بعصاه ليعود كما كان حتى لا يدركه فرعون، ولكن الله أوحى إلى موسى: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ

إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الدخان: ٢٤] يا موسى، اترك البحر كما هو، لِمَ؟ ستعلمون الآن، بدأ فرعون يعبر البحر خلف موسى وجنوده معه يعينونه على الظلم، بغياً وعدواً، ولكن عندما توسطوا جميعاً البحر أمر الله ﷻ البحر أن يعود كما كان فأصبحوا تحت الماء.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩٠ ـ ٩٢].

عباد الله! البحر هو هو حتى الآن، وسنّة الله لا تتبدل ولا تتحول، وكأني أنظر الآن إلى موسى ومن معه في الشاطىء الثاني ينظرون إلى فرعون وهو يغرق، وأظنكم تعلمون أن الإنسان في لحظة الغرق ينزل في الماء ويصعد، ها هو الآن فرعون كلما خرج فوق الماء قال: آمنت أنه لا إله إلا . . . ويريد أن ينطق بلفظ الجلالة؛ أي: يريد أن يقول: آمنت أنه لا إله إلا الله، ولكن هل يخرج لفظ الجلالة من أفواه الفراعنة؟ لا، قبل قليل كان يقول هذا اللسان: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، الآن تقول: آمنت أنه لا إله إلا . . . ! تريد أن تنطق بلفظ الجلالة؟! لا، ولكنه في اللحظة الأخيرة قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، والإسلام بريءٌ منك يا فرعون؛ فالله ﷻ يقول له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩١]، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

كم من الناس يتفرعن في هذه الدنيا حتى إذا أدركه الموت قال: آمنت؟! الكثير.

ابن آدم! إذا أعطاك الله منصباً ومالاً في الدنيا تفرعنت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ

مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ [الانفطار: ٦، ٧]
انظروا - عباد الله - إلى أجساد الفراعنة الآن فرعون وجنوده وهم على سطح الماء لا حول لهم ولا قوة ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس: ٩٢] نعم، والله إنها آية لمن أراد أن يذكَّر، الذي يطفوا على سطح الماء الآن كان قبل قليل يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، كان قبل قليل يقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، كان يقول: ﴿يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ﴾ [الزخرف: ٥١] من تحتي! هذا فرعون الذي كان قبل قليل يقول: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦].

كان قبل قليل يقول: ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨]، إن في ذلك لآية لمن أراد أن يذكر.

انظروا - عباد الله - إلى الذين تفرعنوا على الله، وعلى عباد الله هذه هي نهايتهم: عذاب في الدنيا بالغرق، وعذاب في البرزخ في القبر.

قال - تعالى -: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

ثم ينتقلون إلى عذاب شديد يوم القيامة.

عباد الله! ما هي الدروس والعبر التي تؤخذ مما سمعنا؟.

أولاً: الله ﷻ إذا أهلك الظالم أهلك معه الذين أعانوه على الظلم، أخذنا ذلك لما علمنا كيف أهلك الله ﷻ فرعون وجنده الذين خرجوا معه ليقضوا على موسى ومن آمن معه، فإذا رأيت إنساناً يظلم، فإياك إياك أن تعينه على الظلم؛ فالظلم ظلمات يوم القيامة.

ورسولنا ﷺ يقول: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**»، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟! قال: «**تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصرهُ**»(١).

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٥٥٢).

أي: إذا رأيت إنساناً مظلوماً ترفع عنه الظلم، وإذا رأيت إنساناً يظلم تمنعه عن الظلم، فالظلم ظلمات يوم القيامة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]، إذا نزل العذاب على الظالم أخذ معه الذين أعانوه على ظلمه.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢ ـ ٤٦]، كما فعل الله بفرعون وعاد وثمود.

عباد الله! يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٣].

إياك إياك أن تعين الظالم على ظلمه، فوالله إني أشفق عليك، فلا تغتر بالحياة الدنيا، ولا يغرنك بالله الغرور، إذا جاءك الموت ونزل بك العذاب أعندها تقول: آمنت؟! سيقال لك: الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين.

ثانياً: الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبتغي بذلك وجه الله، فالله يحفظه ويرعاه وينصره في الدنيا والآخرة، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يضروه فلن يضروه أبداً؛ لأن الله معه ومن كان الله معه فمعه القوة التي لا تهزم.

• والدليل حفظ الله ـ جلّ وعلا ـ موسى من فرعون، ودافع الله عن موسى ضد فرعون.

وكذلك حفظ الله ﷻ هذا الرجل المؤمن من آل فرعون عندما أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فهمُّوا أن يقتلوه فوقاه الله سيئات ما مكروا.

فيا عباد الله! مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى لا ينتشر الفساد، وحتى لا تنتشر الأفكار السيئة بين المسلمين، فها نحن الآن وما من يوم يمر إلا ويظهر لنا فيه فرقة تدَّعي الإسلام والإسلام منهم بريء، أفكار ما أنزل الله بها من سلطان، أتدرون ما السبب يا عباد الله؟.

لأننا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فعلى كل داعية وكل عالم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر على قدر استطاعته.

أسأل الله لي ولكم التوفيق والسداد



٥٢

أسباب هلاك فرعون وقومه

عباد الله!

في الجمعة الماضية تبيّن لنا جميعاً كيف أهلك الله ﷿ فرعون وقومه، وعلمنا أن فرعون وهو في سكرات الموت قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، فقال الله له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩١، ٩٢].

عباد الله! هكذا ينتقم الله من الفراعنة.

عباد الله! هكذا ينتقم الله من الظّلمة.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْـَٔاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: ٥٥، ٥٦].

وعن أبي موسى ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**» قال: ثم قرأ. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾» [هود: ١٠٢][١]، وكذلك أخذ ربك لكل ظالم تسوَّل له نفسه أن يفعل كما فعل فرعون.

عباد الله! وهنا سؤال يفرض نفسه علينا الآن: لماذا أهلك الله ﷿ فرعون وقومه؟.

الذي يجيب على هذا السؤال هو ربنا، فهذا كتابه ينطق بالحق:

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأعراف: ١٣٦]؛ أي: مِنْ فرعون وقومه.

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٤٠٩)، م: (٢٥٨٣).

فالسبب الأول: أنهم كذبوا بآياتنا.

عباد الله! التكذيب بآيات الله سبب لهلاك الأمم، وسبب لنزول العذاب من ربّ السمٰوات والأرض.

إخوة الإسلام! نعود بكم إلى غير بعيد، إلى أول لقاء كان بين موسى وفرعون.

أتعلمون ماذا قال موسى لفرعون، قال له: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾ [طه: ٤٨]؛ أي: العذاب ينزل من ربّ السمٰوات والأرض على من كذب وتولى، ومع ذلك كذب فرعون وقومه بجميع الآيات التي جاء بها موسى.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾﴾ [طه: ٥٦]، وقال فرعون وقومه لموسى: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الأعراف: ١٣٢]، فلما كذبوا بآيات الله أهلكهم الله أجمعين، وأغرقهم أجمعين، فاحذر يا ابن آدم أن تكون من الذين يُكذِّبون بآيات الله فتكون من المهلكين المعذبين، والعاقل من اتعظ بغيره.

ولذلك قال ربنا ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام: ١١]، كيف كانت عاقبة قوم نوح وعاد وثمود وفرعون؟.

يقول الله ﷻ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

السبب الثاني ـ لهلاك فرعون وقومه (الغفلة):

الغفلة سبب للهلاك والعذاب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا

وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦)﴾ [الأعراف: ١٣٦]. الغفلة عن دين الله، وعن كتاب الله، وعن سنّة رسول الله.

● الغفلة عن اليوم الآخر، وعن الصراط والميزان، وعن الجنة والنار، سبب للهلاك ونزول العذاب.

وإذا نظرنا إلى كثير من الناس في هذا الزمان العجيب تراهم في غفلة معرضين عن دين الله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١)﴾ [الأنبياء: ١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧)﴾ [الروم: ٦، ٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢].

ابن آدم! احذر أن تكون من الغافلين؛ فقد وصف الله عز وجل الغافلين في كتابه بأنهم كالأنعام؛ بل هم أضل.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ابن آدم! احذر أن تكون من الغافلين؛ فالغافلون يوم القيامة يندمون في وقت لا ينفع فيه الندم.

قال ـ تعالى ـ على لسانهم وهم في أرض المحشر: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، فاحذروا ـ عباد الله ـ التكذيب بآيات الله، واحذروا الغفلة؛ لأنهما من أسباب الهلاك، وقد أهلك الله فرعون وقومه بسبب أنهم كذبوا بآيات الله وكانوا عنها غافلين.

أمة الإسلام! ما هي الدروس والعبر التي تؤخذ من هلاك فرعون؟.

أولاً: الأرض لله يورثها من يشاء من عباده:

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ

ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٥، ١٠٦].

عباد الله! نرجع قليلاً إلى فرعون عندما قالوا له: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، قال فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] ماذا قال موسى لقومه عندما وصلته الأخبار، قال: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف: ١٢٨، ١٢٩].

إخوة الإسلام! تعالوا بنا الآن ننظر إلى النتيجة التي ظهرت لنا من الصراع بين الحق والباطل بين موسى وفرعون، ولننظر إلى العاقبة لمن كانت؟ هل هي لموسى الذي معه الحق؟ أم هي لفرعون الذي يمثل الباطل؟.

والجواب على ذلك في كتاب ربنا قال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف: ١٣٦، ١٣٧].

النتيجة انتقم الله ﷻ من فرعون وقومه، وأغرقهم أجمعين، ودمر الله ﷻ ما فعل فرعون وما صنع هو وقومه وما كانوا يعرشون، وأورث الأرض التي كان فيها فرعون موسى وقومه.

يقول الله ﷻ: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ

ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الدخان: ٢٤ ـ ٣١] العاقبة لمن؟ للمتقين، والنصر ـ إن شاء الله تعالى ـ للإسلام والمسلمين.

ورسولنا ﷺ يبشرنا بذلك، وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

يقول ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها..**»[١].

ويقول ﷺ: «**ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار**»[٢]؛ أي: هذا الدين؛ أي: هذا الإسلام.

ويقول ﷺ: «**والله ليتمّنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[٣]، ولكنكم يا عباد الله تستعجلون، وقد بشرنا الله في كتابه فقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١، ٥٢].

يا أمة الإسلام في كل مكان استعينوا بالله واصبروا؛ فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

ثانياً: التوبة لا تقبل من العبد إذا نزل به الموت وهلك.

فانظروا إلى فرعون، والعاقل من اتعظ بغيره.

فهذا فرعون يقول: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، ومع ذلك رد الله عليه توبته لأنها كاذبة، ورد عليه إيمانه لأنه كاذب فقال له: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾ [يونس: ٩١].

---

(١) **صحيح**: م: (٢٨٨٩).

(٢) **صحيح**: حم: (٤/١٠٣)، ك: (٤/٤٧٧)، طب: (٢/٥٨)، هق: (٩/١٨١) [«س.ص» (٣)].

(٣) **صحيح**: خ: (٣٤١٦).

لقد أخبرنا الله أنه لا يقبل توبة العبد إذا تاب عند حضور الموت.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: ١٨].

ورسولنا ﷺ يقول: «**إن الله ﷻ يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»(١).

فيا عبد الله: الموت يأتي بغتة، فإذا نزل بك الموت وقلت: آمنت، يقال لك: آلآن! وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين.

واعتبروا ـ يا عباد الله ـ بهذا المفرط الذي يندم عند الموت.

قال ـ تعالى ـ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ﴾، فيقال له: ﴿كَلَّآ ۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

الموت يأتي بغتة، فإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، وخذ من حياتك لموتك، واعدُد نفسك من أهل القبور فإنك لا تدري ما اسمك غداً.

نسير إلى الآجال في كل لحظة ... وأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أرَ مثل الموت حقاً كأنه ... إذا ما تخطته الأماني باطل
ترحَّل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام وهن قلائل

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

عباد الله: بهذا نكون قد انتهينا من الحديث عن موسى مع فرعون.

وإن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية ـ نبدأ في الحديث عن عيسى عليه السلام.

نسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم، أن يجمعني وإياكم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، إنه وليّ ذلك والقادر عليه

---

(١) **حسن**: حم: (٢/ ١٣٢)، حب: (٦٢٨)، ك: (٤/ ٢٨٦)، ع: (٩/ ٤٦٢)، ش: (٧/ ١٧٣)، هب: (٥/ ٣٩٥)، [«ص.ج» (١٩٠٣)].

٥٣

عقيدتنا في عيسى عليه السلام

عباد الله!

في الجمعة الماضية انتهينا من الحديث عن دعوة موسى عليه السلام لفرعون عليه لعنة الله إلى يوم القيامة، وتبيّن لنا أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده وأن العاقبة للمتقين.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ **مع الرسول الرابع من أولي العزم من الرسل ألا وهو عيسى** عليه السلام.

عباد الله! اعلموا **أولاً**:

أن الإيمان بالرسل الكرام جميعاً أصل من أصول العقيدة السليمة الصحيحة لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ولقوله صلى الله عليه وسلم لما سُئل عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(١).

واعلموا: أَن من كفر برسول واحد فقد كفر بجميع الرسل، ومن كذب برسولٍ واحد فقد كذب بكل الرسل.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

واعلموا: أن من آمن برسولٍ وكفر بآخر وحاول أن يفرق بين رسل الله، فهو الكافر حقاً.

---

(١) **صحيح**: م: (٨).

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

فمن آمن بجميع الرسل وكفر بعيسى فهو كافر بالله، ومن آمن بكل الرسل وكفر بموسى فهو كافر بالله، ومن آمن بكل الرسل وكفر بمحمد ﷺ فهو كافر بالله.

ثانياً: واعلموا عباد الله أن عقيدتنا في عيسى ابن مريم ﷺ هي كالآتي، آخذين ذلك من كتاب ربنا ومن سنّة نبينا ﷺ:

• نعتقد معشر المسلمين أن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله أرسله الله ﷻ إلى قومه يدعوهم إلى عقيدة التوحيد ويحذرهم من الشرك.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥]، فالمسيح ابن مريم رسول قد خلت من قبله الرسل، جاء يدعو قومه إلى عبادة الله كما أخبرنا ربنا بذلك.

فقال ـ تعالى ـ على لسان عيسى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

فعيسى ابن مريم رسول من عند الله، جاء يدعو الناس إلى عقيدة التوحيد لا فرق بينه وبين الرسل من قبله.

• ومن عقيدتنا معشر المسلمين في عيسى ابن مريم أن الله ﷻ خلقه بـ(كن)، فكان كما خلق آدم من قبل.

فالله ﷻ بقدرته خلق عيسى ابن مريم من أنثى بدون ذكر وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق آدم من قبل بلا ذكر ولا أنثى، وسائر

البشر يخلقون من ذكر وأنثى وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون، ولذلك قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩].

● ومن عقيدتنا في عيسى ابن مريم عليه السلام أنه رُفع من هذه الأرض حياً إلى السماء، ثم إنه ينزل في آخر الزمان يحكم الناس بشريعة الإسلام، ويكسر الصليب.

كما أخبرنا ربنا ـ جل وعلا ـ فقال: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾؛ أي: سألقي عليك النوم ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٨، ١٥٩].

إخوة الإسلام! أهل الكتاب اختلفوا في عيسى ابن مريم بين الإفراط والتفريط، فاليهود قالوا عن عيسى ابن مريم: إنه ولد زنا، واتهموا أمه الشريفة العفيفة بالزنا!! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

وقد أخبرنا الله عز وجل عن قول اليهود في عيسى وعن اتهامهم لمريم، فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء: ١٥٦]، وقالت اليهود: إنهم قتلوا عيسى ابن مريم، والله عز وجل كذبهم.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ﴾ [النساء: ١٥٧].
أما النصارى فقد غلوا في عيسى فقالوا فيه ما قالوا:

● فمنهم من قال: إن عيسى ابن الله.

فقال الله عز وجل عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ﴾ [التوبة: ٣٠].

● ومنهم من قال: هو الله.

فقال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَۖ﴾ [المائدة: ٧٢].

• ومنهم من قال عن عيسى عليه السلام: ثالث ثلاثة.

فقال الله عز وجل: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

فاختلف أهل الكتاب من اليهود والنصارى في عيسى ابن مريم.

فاليهود قالوا: هو ولد زنا، واتهموا مريم بالزنا.

والنصارى غلوا في عيسى فقالوا: هو ابن الله، وقالوا: هو الله، وقالوا: هو ثالث ثلاثة، والحق ـ عباد الله ـ هو ما سمعتم في عيسى، كما جاء في الكتاب والسنّة.

إخوة الإسلام! وواجبٌ علينا الآن ما دمنا نتكلم عن العقيدة أن نبين الحق في مريم وفي عيسى دفاعاً عن مريم ودفاعاً عن عيسى؛ لأننا نؤمن بأن عيسى عليه السلام رسول من الرسل، ومن آمن بكل الرسل وكفر بعيسى فهو كافر، فنحن معشر المسلمين نؤمن بعيسى أنه رسول من عند الله ونحبه ونسأل الله أن يحشرنا مع عيسى ومع محمد صلى الله عليه وسلم ومع النبيين في جنات النعيم، ولكن العيب على الذين يؤمنون بعيسى وموسى ولا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم، فهم قد كفروا بذلك وضلوا ضلالاً بعيداً.

إخوة الإيمان! دفاعاً عن الحق لا بد أن نبين من خلال الكتاب والسنّة كيف ولدت مريم، وكيف تربت مريم، لنبرئها من مقولة اليهود: بأنها زنت، وجاءت بعيسى من الزنا.

فتعالوا بنا ـ عباد الله ـ إلى سورة آل عمران فهناك يبيّن لنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ من أين جاءت مريم، وأين تربت مريم، وكيف تربت مريم، وهل هي أحصنت فرجها أم لا؟ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة.

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ

إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٣ ـ ٣٧].

عباد الله! انظروا معي إلى أهل مريم الذين اصطفاهم الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]؛ أي: اصطفاهم على العالمين.

• انظروا إلى مريم أين تربَّت؟ في رحاب بيت المقدس؛ لأن أمها عندما حملت بها نذرت أن يكون ما في بطنها خادماً لبيت الله، فهي تربت في رحاب بيت المقدس.

• انظروا كيف تربت مريم: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾، من الذي أنبتها نباتاً حسناً؟ إنه الله.

• انظروا إلى مريم من الذي تكفّل بتربيتها؟ من الذي تكفل بالإشراف عليها؟ إنه نبي الله زكريا ﷺ ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.

• انظروا إلى مريم، إنها من أولياء الله، ففي محرابها كان يأتيها رزقها ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾، فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف.

فيسألها زكريا: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، وبعد ذلك ـ عباد الله ـ أثنى ربنا على مريم.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١٢]، وها هي الملائكة تنزل من السماء على مريم لتقول لها:

يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ

ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [آل عمران: ٤٢، ٤٣]؛ أي: اصطفاها وأهلها.

وتنزل الملائكة مرة ثانية تبشر مريم، بعيسى ابن مريم رسولاً من عند الله، يُخلق بكلمةٍ من الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران: ٤٥، ٤٦].

عباد الله! كيف جاءت مريم بعيسى؟ وكيف ولدت مريم عيسى؟ وماذا قالت مريم عندما ولدت عيسى؟ وكيف جاءت إلى قومها؟ وكيف قابلت قومها بهذا الغلام؟ وماذا قال عيسى وهو في المهد؟ هذا الذي سنعرفه ـ إن شاء الله تعالى ـ في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

عباد الله! ما هي الدروس والعبر التي تؤخذ مما سمعنا؟.

أولاً: الله ﷻ يُكْرِمُ أولياءه بكرامات، ونحن نعتقد معشر المسلمين بكرامات الأولياء.

والدليل على ذلك ما سمعتم عن مريم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وهذه كرامة، وهي دليل على أن مريم من أولياء الله.

فالله ﷻ له من عباده أولياء يكرمهم بكرامات، ولكن ـ يا عباد الله ـ من هم هؤلاء؟ من هم أولياء الله؟ هل هم الذين يلبسون العمائم الخضراء؟! هل هم الذين يضربون أنفسهم بالسكاكين؟! هل هم الذين يأكلون الزجاج؟! هل هم الذين يطيرون في الهواء؟ هل هم الذين يمشون على الماء؟ من هم؟ هم الذين وصفهم الله في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

فكل مؤمن تقي فهو لله ولي.

عباد الله! أولياء الله ليس لهم لباس معين ليعرفوا به، فكل من آمن بالله، وكل من اتقى الله ﷻ فهو من أولياء الله. وأولياء الله لا يقولون للناس: ها نحن أولياء الله، ولا يصورون أنفسهم بالفيديو ثم ينشرون ذلك، ولا يصورون أنفسهم وهم يضربون أنفسهم بالسكاكين، ويأكلون الزجاج والمسامير وينشرون تلك الصور بين الناس، ويقولون: ها نحن من أولياء الله، لا يا عباد الله، فهذا كله يخالف الكتاب والسنّة؛ فهم بذلك يزكون أنفسهم.

والله ﷻ ـ يقول ـ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

وها هي مريم عليها السلام كان يأتيها رزقها وهي في محرابها، وما سمعنا أنها نادت على من معها في بيت المقدس أو قالت: يا زكريا تعال وانظر إلى الكرامات، ها هي الفاكهة والطعام تأتي من كل مكان، ما قالت مريم ذلك، حتى لما سألها زكريا ما قالت: إن هذه كرامات، إنما قالت: ﴿**هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ**﴾، ولذلك نقول لهؤلاء الذين يلبسون العمائم الخضراء، ويضربون أنفسهم بالسكاكين، ويجمعون الناس ويقولون: نحن من أولياء الله، نقول لهم: كبرت كلمة تخرج من أفواهكم إن تقولون إلا كذباً.

فأولياء الله لا يقولون: إنَّ لهم كرامات.

وقال أحد الصالحين: إذا رأيت الرجل يطير في الهواء، ويمشي على الماء ـ ونحن نزيد: ويظهر في القمر ـ فاعرضوا أعماله على الكتاب والسنّة، فإن وافقت فهو من أولياء الله، وإن خالفت فهو من أولياء الشيطان.

ثانياً: على الإنسان أن يعتقد أن الرزق بيد الله:

كما قالت مريم لزكريا عندما قال لها: ﴿**يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ**﴾.

فقد أخبرنا الله ﷻ أنه هو الرزاق.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨]. وأخبرنا الله ﷻ في كتابه أن الرزق مضمون.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣].

ولكن ـ عباد الله ـ كيف نتحصل على الرزق؟ بالتواكل؟! أم بالنصب والاحتيال والسرقة؟ أم بأكل الربا؟ كيف نتحصل على الرزق المضمون؟.

نتحصل عليه كما علّمنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ في كتابه وكما علمنا رسولنا ﷺ في سنته.

١ ـ نتحصل على الرزق بتقوى الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

٢ ـ نتحصل على الرزق بالتوكل على الله وحده.

كما قال ﷺ: «**لو أنكم تتوكّلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً**»(١).

٣ ـ نتحصل على الرزق بشكر الله، ولا يكون ذلك إلا بعبادة الله.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٤٤)، هـ: (٤١٦٤)، حم: (١/ ٣٠)، ك: (٤/ ٣٥٤)، لس: (٥١)، ع: (١/ ٢١٢)، [«ص.ج» (٥٢٥٤)].

٤ ـ ونتحصل على الرزق المضمون بالأخذ بالأسباب المشروعة بأن نسعى ونمشي في هذه الأرض.

كما قال ربنا ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥].

أي: خذوا بالأسباب وابحثوا عن الرزق، ولكن بالأسباب المشروعة.

فيا ابن آدم، الرزق بيد الله، والرزق مضمون، واللهِ رزقك يطاردك أينما كنت كما يطاردك الأجل، فالموت يطاردك والرزق يطاردك.

الرزق مضمون؛ فقد قدَّر الله ﷻ لك رزقاً، فلن تموت ـ والله ـ حتى تتحصل على هذا الرزق، فأجملوا في الطلب.

فيا من ضيعتم الصلاة من أجل الرزق.

ويا من أكلتم الربا من أجل الرزق.

يا من قتل بعضكم بعضاً من أجل الرزق.

يا من فعلتم ما فعلتم وبارزتم الله بالمعاصي من أجل الرزق.

الرزق مضمون يُطلب بتقوى الله.

أسأل الله العظيم ربّ العرش العظيم أن يرزقني وإياكم التقوى وأن يرزقني وإياكم التوكل عليه، إنه وليّ ذلك والقادر عليه





حَمْل مريم بعيسى عليه السلام وولادته وكلامه في المهد

عباد الله!

في الجمعة الماضية تبيّن لنا أن أهل الكتاب اختلفوا في عيسى عليه السلام بين الإفراط والتفريط، فاليهود قالوا: إنه ولد زنا، واتهموا أمه بالزنا! كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

والنصارى غلوا في عيسى عليه السلام، فمنهم من قال: هو ابن الله، ومنهم من قال: هو الله، ومنهم من قال: هو ثالث ثلاثة، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

عباد الله! والاعتقاد الصحيح أن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وهذا كله من أمور العقيدة التي هي سبب لدخول الجنة.

لقوله صلى الله عليه وسلم: «**من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»[١].

فالاعتقاد بأن عيسى عبد الله ورسوله من أمور العقيدة التي هي سبب لدخول الجنة.

عباد الله! وفي الجمعة الماضية تبيّن لنا أن مريم ابنة عمران قد اصطفاها الله عز وجل على نساء العالمين، وتبيّن لنا أن مريم ابنة عمران تربت

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٢٥٢)، م: (٢٨).

في رحاب بيت المقدس على مائدة الإيمان، وعلى مائدة الأخلاق والعفاف، والذي أشرف على تربيتها هو نبي الله زكريا عليه السلام.

وقلنا في الجمعة الماضية: إن الملائكة نزلت من السماء تبشر مريم بعيسى عليه السلام.

فكيف حملت مريم بعيسى عليه السلام؟ وكيف ولدت مريم عيسى عليه السلام؟ وماذا قالت مريم عندما ولدت عيسى عليه السلام؟ وماذا قال لها عيسى بعد ولادته؟ وكيف رجعت مريم تحمل عيسى إلى أهلها؟ وماذا قالوا لها وماذا قالت لهم؟ وماذا أجاب عيسى عليه السلام؟.

أسئلة تفرض نفسها علينا والإجابة عليها من كتاب ربنا.

فتعالوا بنا ـ عباد الله ـ إلى سورة مريم وهناك نجد الجواب.

يقول الله عز وجل: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾، إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [مريم: ١٦ ـ ٣٦].

أمة الإسلام! عاشت مريم ابنة عمران في رحاب بيت المقدس تصلي، تدعو، تتربى على مائدة الإيمان، فراحت يوماً في حاجة لها من المسجد من الناحية الشرقية، وهناك اتخذت لنفسها حجاباً بينها وبين أهلها لا يراها أحد لتخلو بنفسها، لتعبد الله عز وجل. وهي في خلوتها، وإذا برجل يقف أمامها فتعجبت وخافت وارتعدت؛ فتاة في شبابها في مكان خالٍ وحدها يدخل عليها رجل لا تدري من أين دخل.

والله الذي لا إله إلا هو، لو أن رجلاً منا في مكان وحده، وفجأة وجد أمامه رجلاً لا يعرف من أين دخل، فإنه سيخاف ويرتعد فكيف بفتاة في مكان خالٍ وحدها، فلما رأت هذا الرجل لم تقل: من أين جئت؟ وكيف جئت؟ ولماذا جئت؟ وماذا تريد؟ ولكنها التجأت إلى ربها،

واستعاذت به ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾ إنه جبريل عليه السلام! ـ والملائكة تتشكل كما قلنا في خطب الإيمان بالملائكة ـ جاءها جبريل عليه السلام في صورة رجل، ولكن مريم لم تعرف أنه جبريل فقالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾ فاستعاذت بالله، والتجأت إلى الله، واحتمت بحمى الله، وذكَّرت هذا الرجل بالتقوى؛ لأنها تعلم أن الذي يتقي الله عز وجل لا يقع في الزنا.

فكشف الرجل عن هويته وقال لها: أنا رسول ربك، أنا ملك من عند الله ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾، فمريم قالت: لعله يحتال حتى يأخذ ما يريد، فردت عليه وهي تتعجب: أنَّى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر؟! الغلام لا يأتي إلا إذا التقى الرجل بالمرأة إما بالحلال وإما بالحرام، فقالت له: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾؛ أي: كيف آتي بالغلام ﴿وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا﴾؟ فقال لها: إن هذا أمر من الله ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾، ومريم مؤمنة تعلم بأنه يجب عليها أن تقول: سمعنا وأطعنا.

﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١﴾، ليكون عيسى من مريم بلا أب آية على قدرة الله، كما أن الله عز وجل بقدرته آدم من تراب بلا ذكر ولا أنثى.

وكذلك خلق الله عز وجل بقدرته حواء من آدم من ذكر بلا أنثى.

والله عز وجل بقدرته يخلق الناس جميعاً من ذكر وأنثى، فالله عز وجل يريد أن تكون آية للناس، فخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون؛ أي: أنه قضى الأمر وانتهى فلا تجادلي ولا تتعجبي، فرضيت.

نفخ جبريل عليه السلام في جيب درعها، فسلكت النفخة طريقها حتى وصلت إلى مكان الحمل وهو الرحم، وهناك تم الحمل في بطن مريم

بأمرٍ من الله، فحملته وعادت إلى بيت المقدس تعيش كما تعيش، ومرت الأيام وعلامات الحمل تظهر على مريم، وتمر الأيام وبطنها تكبر، ومن معها في المسجد يتعجبون لما يعرفون عن مريم من صلاح وتقوى، ما هذا الذي نراه؟! فجاء أحدهم وأراد أن يسأل تلميحاً لا تصريحاً فقال: يا مريم إني سائلك سؤالاً، فقالت: سل، فقال: يا مريم هل يكون شجر بلا بذر؟ يا مريم هل يكون زرع بلا حب؟ يا مريم هل يكون ولد بلا أب؟ ففهمت مريم فقالت له: من الذي خلق الزرع والشجر أول ما خلق بدون حب ولا بذر؟ وقالت له: من الذي خلق آدم من تراب بدون أب ولا أم؟ فعرفوا أن الأمر على غير ما يفكرون، فتركوها.

فخرجت يوماً من المسجد لحاجة فأجاءها المخاض ـ وهو وجع الولادة ـ وما أدراك ما وجع الولادة!! ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ فتاة تلد لأول مرة، فالأمر شديد، والألم شديد، لا أحد معها، وحدها عند النخلة تعاني آلام الولادة وما فيها من التعب والشدة، ومع ذلك تفكر ماذا تقول لأهلها إذا رجعت إليهم تحمله، فقالت: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾، ماذا تقول لأهلها؟ فلما قالت ذلك إذا بعيسى عليه السلام الذي ولدته منذ لحظات ينادي عليها بصوت فصيح: ﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾؛ أي: لا تحزني يا أمي ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ جعل الله تحتها نهراً صغيراً لتشرب منه وأمرها الله عز وجل أن تهز النخلة لتحصل على طعامها، فقال تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾، فتوفر لديها كل ما تحتاجه المرأة التي وضعت لتوها من الأكل، والشرب، وقرة العين، قد وفرت لها بأمر من الله، فهي ليست بحاجة إلى أحد يخدمها، وقيل لها: كلي من الرطب، واشربي من النهر، وقري عيناً.

عباد الله! المشكلة الآن: ماذا تقول لأهلها؟ فقيل لها: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾؛ أي: قولي: إني صائمة لا أتكلم ـ والصوم عن الكلام كان جائزاً في شرع من قبلنا، ولكن الصوم عن الكلام لا يجوز في شرعنا.

عباد الله! مريم ابنة عمران حملت عيسى على يديها الآن، وقامت لتعود إلى أهلها، وما الذي يُعلمهم أن ذلك بأمر من الله؟ ومن الذي يفهمهم ذلك؟ ما عندهم إلا أن يشكوا أنها ارتكبت فاحشة الزنا ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ فتعجبوا! ما عرفوا عنها إلا الصلاح والتقوى، تربت في بيت الله، والذي أشرف على تربيتها نبي الله زكريا ﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾، أي: يا أخت هارون في التقوى والصلاح ـ وهارون رجل صالح كان يُضْرَبُ عندهم به المثل في التقوى والصلاح ـ ما هذا الذي فعلتِه؟ ماذا فعلت ـ يا مريم؟ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾، فتكلم عيسى بلسان فصيح وهو لا يزال في المهد صبيّاً، ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾، ولم يقل: إني ابن الله، ولم يقل: أنا الله، ولم يقل: أنا ثالث ثلاثة، عيسى عليه السلام ينطق وهو في المهد، ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾، اسمعوا وعوا يا من ضيعتم الصلاة، يا من تركتم صلاة الفجر، وفي من يجلس أمامي الآن كثيرون قد ضيعوا صلاة الفجر إلا من رحم ربي.

عباد الله! ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾.

هذا عيسى ابن مريم قد ولد، وسيموت، وسيبعث يوم القيامة كما نبعث، وسيقف للسؤال أمام الله كما تُسئل الرسل، والناس في أرض المحشر، فهو ليس ولد زنا كما قالت اليهود، وهو ليس ابن الله ولا هو الله ولا هو ثالث ثلاثة كما قالت النصارى، فالويل لمن قالوا: هو ابن زنا، ولمن قالوا: هو ابن الله، ولمن قالوا: هو الله، ولمن قالوا: هو ثالث ثلاثة. وهنيئاً لمن اعتقد أن عيسى هو عبد الله ورسوله.

إخوة الإسلام: ما هي الدروس والعبر التي تؤخذ مما سمعنا؟.

أولاً: أن التقوى إذا تمكنت من القلوب فإنها تحول بين الإنسان وبين اقتراف المعاصي، فكلما ازدادت التقوى في القلب ابتعد الإنسان عن المعاصي والدليل على ذلك:

أن مريم عندما دخل الرجل عليها ذكرته بالتقوى لعلمها أن التقوى تمنع صاحبها من الزنا فقالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾.

• وذلك الرجل الذي دخل الغار مع أصحابه فسدت صخرة عظيمة عليهم الغار، وأرادوا أن يدعوا الله بصالح أعمالهم فقال الرجل: (اللّهم إنه كان لي ابنة عم، وكنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء فراودتها عن نفسها فامتنعت، فأخذتها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، يقول الرجل: فلما جلست منها كما يجلس الرجل من زوجته قالت الفتاة: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه». فلما ذكرته بالتقوى يقول الرجل: «**فقمت عنها ولم أزنِ بها**»(١)، فما الذي منعه من الزنا؟ إنها التقوى قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١].

فعلى العاقل أن يتزود بالتقوى، ولذلك أمر الله ﷻ عباده الأولين والآخرين بالتقوى، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النساء: ١٣١]، ورسولنا ﷺ في موعظته البليغة التي قال الصحابة بعدها: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: «**أوصيكم بتقوى الله**»(٢)، فالعاقل من تزود بالتقوى في حياته، فالسفر طويل والبحر عميق والعقبة كؤود.

ابن آدم!

تزودْ من معاشك للمعادِ وقم لله واجمعْ خيرَ زادِ

---

(١) **صحيح**: انظر القصة بتمامها في: خ: (٢١٥٢)، (٢١٠٢)، (٣٢٧٨).

(٢) **صحيح**: د: (٤٦٠٧)، ت: (٢٦٧٦)، هـ: (٤٢)، [«ص.غ.هـ» (٣٧)].

ولا تجمعْ من الدنيا كثيراً فإن المال يجمع للنفادِ
أترضى أن تكون رفيق قومٍ لهم زاد وأنت بغير زادِ

❊ ❊ ❊

ابن آدم:

نسير إلى الآجال في كل لحظة وأيامنا تُطوى وهن مراحلُ
ولم أرَ مثل الموت حقاً كأنه إذا ما تخطته الأماني باطلُ
ترحَّل من الدنيا بزاد من التقى فعمرك أيامٌ وهن قلائلُ

ثانياً: الزنا فاحشة لا يحبها أحد؛ لأنها تطأطأ الرؤوس؛ لأنها تسوِّد الوجوه؛ لأنها تخرس الألسنة؛ لأنها عار لا يُمْحى.

• فلا يحب الزنا أحد، ولا يرضاه أحدٌ لأهله، وحتى الزاني لا يرضى لأهله الزنا، وإذا أراد الزاني أن يتزوج فإنه يبحث عن فتاةٍ لم تقع في الزنا مع أنه يزني.

• والدليل على أنه لا يحب الزنا أحد:

هذه مريم عندما دخل عليها الرجل في خلوتها خافت وقالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾، وقالت له: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيًّا﴾، خافت وارتعدت من فاحشة الزنا، وكذلك أهلها لا يحبون فاحشة الزنا، عندما عادت تحمل عيسى ﴿قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾﴾.

فالزنا جريمة لا يحبها أحد، ولذلك حذَّرنا ربنا، وحرَّم علينا أن نقترب من الزنا.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]، ساء هذا السبيل وهو سبيل الزنا.

فيا إخوة الإسلام: واللهِ إني لكم ناصح أمين، اتقوا الله في أعراضكم، اتقوا الله في نسائكم، والله إن فاحشة الزنا إذا وقعت في بيت دمرته، وطأطأت الرؤوس، وسودت الوجوه، فاتق الله يا عبد الله في عِرضك.

فليتق الله كل منا في زوجته، وابنته، فوالله إن الذي جاء بالمفسديون واشترى الملابس الفاضحة لابنته أو زوجته، والذي يسمح لزوجته وابنته أن تخرج كيف شاءت ومتى شاءت، فإنه لَيُقَرِّبها إلى فاحشة الزنا، وإذا وقعت الفاحشة في بيوتنا ندمنا ولات حين مندم.

ابن آدم! وتندم في وقت لا ينفع فيه الندم، وتريد أن تمحو الجريمة ولكنها لا تمحى، فقبل أن تقع الجريمة في بيوتكم لا تقربوا الزنا، ولا تُقَرِّبوا النساء من الزنا. وعلى المرأة إذا أمرها زوجها بالحجاب فعليها أن تحتجب، وإذا أمرها زوجها بالخمار فعليها أن تختمر وإلا فهي آثمة وعاصية لله؛ لأن الله أمرها أن تطيع زوجها فإن عصته فهي عاصية لله ورسوله، فعلى كلٍ منا أن يحافظ على عرضه فلا تعرفوا قيمة العرض إلا إذا أخذ منكم، وعندها تندمون في وقت لا ينفع فيه الندم.

اللّهم استر على نساء المسلمين

اللّهم رد المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً



٥٥

الدروس والعبر التي تُؤخذُ مِنْ ميلاد عيسى عليه السلام

عباد الله!

في الجمعة الماضية تكلمنا عن ميلاد عيسى عليه السلام، وتبيّن لنا أن ميلاد عيسى عليه السلام من أم بدون أب هو آية من آيات الله، وآية على قدرة الله، وآية على وحدانية الله، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١]، فالله عز وجل إذا أراد شيئاً فإنما يقول له: كن فيكون.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩].

عباد الله! وفي الجمعة الماضية تبيّن لنا من ميلاد عيسى عليه السلام أنه ليس كما ادعت اليهود أَنه ولد زنا، وأنه ليس كما ادعت النصارى أنه ابن الله، أو أنه هو الله، أو أنه ثالث ثلاثة، ولكنه كما أخبرنا ربنا في كتابه هو عبد الله ورسوله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة: ٧٥]، وكما قال عيسى عن نفسه، كما أخبرنا ربنا في كتابه.

﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ [مريم: ٣٠].

عباد الله! وقبل أن نتكلم عن دعوة عيسى عليه السلام لقومه إلى عقيدة التوحيد أردنا أن نعيش وإياكم هذا اليوم مع الدروس والعبر التي تؤخذ من ميلاد عيسى عليه السلام.

إخوة الإسلام!

الدرس الأول: الزنا نار تحرق، وقد انتشر في المجتمع الإسلامي.

الدرس الثاني: قذف المحصنات المؤمنات الغافلات جريمة.

الدرس الثالث: الغلو في الدين يجر إلى الضلال المبين.

أمة الإسلام: أما بالنسبة للدرس الأول، وهو الزنا نار تحرق.

فنعم والله، الزنا نار تحرق الشرف، وتحرق العرض والكرامة، فإذا حل بقوم طأطأ رؤوسهم، وسود وجوههم، وأخرس ألسنتهم، فالزنا عار لا يُمْحَىٰ، والزنا سبيل من أسوأ السُبل لا يسلكه إلا كلاب البشر.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢].

كما قلنا في الجمعة الماضية لا يحب الزنا أحد، ولا يرضاه أحد في أهله، وها هي مريم عندما دخل عليها من دخل في خلوتها قالت وهي تخاف من الزنا: ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٨]، وقالت له: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠].

وقال قومها لها عندما جاءت تحمل عيسى: ﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم: ٢٧، ٢٨].

عباد الله: وقد أشرنا إلى ذلك في الجمعة الماضية، ولكن أحببت أن أقف عند الكلام على فاحشة الزنا للأسباب التالية:

أولاً: لأن الزنا ينتشر بكثرة في مجتمعات المسلمين، وهذا ينذر بالشر، وينذر بعذاب أليم.

قال ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»(١).

---

(١) صحيح: ك: (٢/٤٣)، طب: (١/١٧٨)، هب: (٤/٣٦٣)، [«ص.ج» (٦٧٩)].

ثانياً: لأن انتشار الزنا علامة من علامات الساعة، فهو دليل على أنه قد أزفت الآزفة.

يقول ﷺ: «**من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا، ويقل الرجال ويكثر النساء، حتى يكون للخمسين امرأة القيم الواحد**»[(١)].

وقد رفع العلم وظهر الجهل حتى إن الناس اتخذوا رؤوساً جُهّالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا. وإذ قد وقع ذلك ـ عباد الله ـ فمعناه أنه قد أزفت الآزفة.

ثالثاً: لأن انتشار الزنا سبب لانتشار الأمراض الخبيثة التي لم تكن في أسلافنا الذين مضوا.

ورسولنا ﷺ يقول: «**يا معشر المهاجرين خصال خمس إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا**»[(٢)].

وقد انتشر الإيدز بين المسلمين، وقد انتشر السل بين المسلمين، وقد انتشر السيلان والسرطان بين المسلمين، أمراض خطيرة فتاكة تنذر بالشر وتدل على أن الزنا ينتشر في مجتمعات المسلمين.

عباد الله: وحتى لا ينتشر الزنا في مجتمعات المسلمين جاء الإسلام وحذر من الزنا، وضيق على الزناة أينما كانوا، وضرب على أيديهم بيدٍ من حديد حتى لا ينتشر الزنا بين المسلمين؛ لأنه فاحشة وساء سبيلاً.

فجاء الإسلام وبيّن أن الزنا من أكبر الذنوب إذ جاء بعد الشرك والقتل، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قلت: يا رسول الله؛ أي الذنب

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٢٣).

(٢) **صحيح**: هـ: (٤٠١٩)، هب: (١٩٦/٣)، طس: (٦١/٥)، ك: (٥٨٢/٤)، [«ص.ج» (٧٩٧٨)].

أعظم؟ قال ﷺ: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك**» قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تُزاني حليلة جارك**»(١).

فجمع الرسول ﷺ بين الزنا والقتل والشرك بالله.

وقد جمع الله ﷻ بينها في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

ويقول الله ﷻ: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور: ٣].

عباد الله: وحتى لا ينتشر الزنا في مجتمعات المسلمين، فقد وعد الله ﷻ الزناة بالعذاب الأليم في الدنيا، وفي حياة البرزخ، ويوم القيامة.

أما في الدنيا: فالله ﷻ قال: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور: ٢].

هذا عقاب في الدنيا، فإذا زنا الزاني ـ وكان قد سبق له الزواج ـ فيرجم حتى الموت، وإذا زنا الزاني ـ ولم يسبق له الزواج ـ فيجلد مائة جلدة، هذا في الدنيا.

أما عذاب الزناة في حياة البرزخ:

فقد روى البخاري في «صحيحه» أن رسول الله ﷺ رأى في منامه: «**ثقباً مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع، فيه لغط وأصوات، فاطلع فيه**

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٦٥٥)، م: (٨٦).

فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا ـ أي: صاحوا من شدة حره ـ **فقال: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء هم الزناة والزواني**»(١)، فهذا عذابهم إلى يوم القيامة.

أما هناك في الدار الآخرة:

يقول ﷺ: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زانٍ، وملكٌ كذاب، وعائل مستكبر**»(٢).

ولكن مَنْ تاب ـ يا عباد الله ـ من الزنا توبة نصوحاً تاب الله عليه.

عباد الله: وحتى لا ينتشر الزنا في مجتمعات المسلمين فقد حذرنا الإسلام من فتنة النساء.

فقال ﷺ: «... **اتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»(٣).

ويقول ﷺ: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**»(٤).

وقد أخبرنا ربنا ـ جلَّ وعلا ـ عن فتنة النساء، وأنها في مقدمة الشهوات التي زينت للناس.

قال ـ تعالى ـ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عمران: ١٤]، فالمرأة فتنة وقد حذر الإسلام منها.

● ولذلك انظروا معي ـ عباد الله ـ فلقد جاء الإسلام وحرم على المرأة أن ترقق صوتها إذا تكلمت مع الرجال الأجانب.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

● جاء الإسلام وحرم على المرأة أن تتزين للرجال الأجانب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٦٤٠)، (١٣٢٠)، وهو جزء من حديث طويل.
(٢) **صحيح**: م: (١٠٧).
(٣) **صحيح**: م: (٢٧٤٢).
(٤) **صحيح**: خ: (٤٨٠٨)، م: (٢٧٤١).

• جاء الإسلام وحرم على المرأة أن تتعطر وتخرج للصلاة في المسجد، فما بالنا إذ تعطرت وتزينت ورققت من صوتها وذهبت إلى الأسواق وإلى أماكن الفجور واللهو!.

قال ﷺ: «**أيما امرأةٍ استعطرت ثم خرجت، فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكل عينٍ زانية**»(١).

• وجاء الإسلام وحرم على المرأة أن تخرج من بيتها إلا للضرورة فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فالمرأة لبيتها، المرأة لزوجها، المرأة لأولادها، ما خلقت المرأة للشارع وما خلقت لتتزين للأجانب، إنما تكون الزينة لزوجها في بيتها.

• وجاء الإسلام وحرم على المرأة أن تخلو بالرجال الأجانب.

فقال ﷺ: «**لا يخلُونَّ رجل بامرأةٍ إلا كان ثالثهما الشيطان**»(٢).

• وجاء الإسلام وحرم على المرأة التبرج.

فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وأنا أقول: والله الذي لا إله غيره ولا رب سواه، إذا نظرنا إلى تبرج القرن العشرين وإلى تبرج الجاهلية قبل الإسلام لوجدنا أن تبرج الجاهلية قبل الإسلام كان فيه حشمة ووقار، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

إخوة الإسلام: ومن باب النصيحة وحتى يهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة، وحتى إذا وقع الزنا في بيتٍ فلا يلومَنَّ صاحبُه إلا نفسه، أقول يا أمة الإسلام:

الأسباب التي أدت إلى انتشار الزنا في مجتمعات المسلمين هي:

أولاً: التبرج.

---

(١) **حسن**: خز: (١٦٨١)، حب: (٤٤٢٤)، هب: (٦/ ١٧١)، هق: (٣/ ٢٤٦)، [«ص.غ.هـ» (٢٠١٩)].

(٢) **صحيح**: ت: (١١٧١)، ك: (١/ ١٩٧)، [«ص.غ.هـ» (١٩٠٨)].

ثانياً: الاختلاط.

ثالثاً: المفسديون وأفلام الفيديو والأطباق اللاقطة (الستالايت) التي دخلت البيوت فأفسدت وأدت إلى وقوع الزنا في كثير من البيوت، ومن خلال الأسئلة التي توجه إلينا نرى أن كثيراً من أسباب وقوع الزنا هو وجود هذه الأجهزة في داخل البيوت.

رابعاً: تأخير الزواج للشباب والشابات، إما بسبب غلاء المهور، وإما بسبب الدراسة.

خامساً: كثرة الخادمين والخادمات في بيوت المسلمين.

فهذه امرأة تتصل وتقول: زوجي ذهب بي إلى المستشفى من أجل الولادة، ثم عاد وزنا بالخادمة! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

• **الدرس الثاني - قذف المحصنات المؤمنات الغافلات جريمة:**

وتعلمون أن اليهود - عليهم لعنة الله - هم الذين قذفوا مريم واتهموها بالزنا.

والله ﷻ قال: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [النساء: ١٥٦].

عباد الله: فاحذروا أن تفعلوا أفعال اليهود، وأن تتناقلوا في مجالسكم الأخبار الكاذبة وأن ترموا فلاناً بالزنا أو فلانة بالزنا فهذه جريمة، والله ﷻ - وحتى لا تنتشر الفاحشة في مجتمعات المسلمين - قد ضيق على الزناة وقطع الألسنة التي تقذف المؤمنات الغافلات بفاحشة الزنا.

فقال - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ [النور: ٤].

• ولعن الله القاذف في الدنيا والآخرة.

فقال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [النور: ٢٣].

وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»، وذكر منها: «**قذف المحصنات**

الغافلات المؤمنات»(١).

عباد الله! احذروا أن تتناقلوا هذه الأمور وليتقِ كلٌّ منا الله في لسانه فلا يجوز ذلك أبداً، وحتى إذا رأيت بعينك امرأة تزني فإياك أَن تشيع ذلك في المجتمع ما لم تأتِ بأربعة شهداء، وإلا فالله ﷻ يقول: ﴿فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤﴾ [النور: ٤].

كل ذلك حتى لا تنتشر الفاحشة بين المسلمين. ابن آدم! أمسك عليك لسانك.

وإياك إياك أن ترمي رجلاً بالزنا؛ لأنك سمعت من الناس.

إياك إياك أن ترمي امرأة بالزنا؛ لأنك سمعت الناس يقولون، لا يا عبد الله إنها جريمة، لا تتكلم إلا أن تأتي بأربعة شهداء وإلا أمسك لسانك حتى لا تنتشر الفاحشة بين المسلمين، حتى لا تعطي مجالاً لمرضى القلوب، حتى لا تعطي مجالاً للمنافقين، حتى لا تعطي مجالاً لليهود؛ لأنهم يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝١٩﴾ [النور: ١٩].

● **الدرس الثالث ـ الغلو في الدين يجر إلى الضلال المبين.**

وقد غلت النصارى في عيسى ابن مريم فقالوا: هو ابن الله، وقالوا: هو الله، وقالوا: هو ثالث ثلاثة.

والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ [النساء: ١٧١]، وجاء رسول الله ﷺ وحذر من الغلو في الدين.

فقال ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده**

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٦١٥)، م: (٨٩).

فقولوا: عبد الله ورسوله»[١].

ومع ذلك فإنَّ الجهلة من المسلمين رفعوا الرسول ﷺ من منزلة النبوة والرسالة إلى منزلة الإلهية فأخذوا يدعونه من دون الله، ويستغيثون به من دون الله، والرسول ﷺ بريء مما يصنعون؛ بل وصل الحال بجهلة المسلمين إلى أنهم رفعوا من مكانة أصحاب القبور إلى منزلة الإلهية، فهم يعتقدون أن هناك من الأولياء والصالحين من يتحكم في هذا الكون فيعطي هذا ويمنع ذاك، وهذا ضلال مبين.

نقول: يا أمة الإسلام، احذروا الغلو في الدين فإنه يجر إلى الضلال المبين.

عباد الله! كيف دعا عيسى قومه إلى التوحيد؟ وماذا قال لهم؟ وماذا قالوا له؟ وهل قتلوه وصلبوه أم أَنه رُفع حياً إلى السماء؟ هذا الذي سنعرفه ـ إن شاء الله تعالى ـ في الجمعة القادمة إن كان في العمر بقية.

اللّهم ثبّتنا على الإيمان



(١) **صحيح**: خ: (٣٢٦١).

٥٦

دعوة عيسى عليه السلام قومه إلى عقيدة التوحيد

عباد الله!

في الجمعة قبل الماضية تكلمنا عن ميلاد عيسى عليه السلام.

وفي الجمعة الماضية تكلمنا عن الدروس والعبر التي تؤخذ من ميلاد عيسى عليه السلام، وتبيّن لنا أن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله.

وموعدنا في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ مع دعوة عيسى عليه السلام قومه إلى عقيدة التوحيد.

عباد الله! لما بلغ عيسى عليه السلام أشده، واستوى، آتاه الله عز وجل الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، فقام عيسى عليه السلام في بني إسرائيل مقام الأنبياء.

أولاً: أخبرهم أنه رسول من رب العالمين.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

ثانياً: أخذ يدلهم على الصراط المستقيم الذي انحرفوا عنه انحرافاً كبيراً، وضلوا عنه ضلالاً مبيناً، فقد طال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وعبدوا غير الله فأخذ عيسى عليه السلام يقول لهم: يا بني إسرائيل، اعبدوا الله ربي وربكم، وقال لهم: هذا صراط مستقيم.

كما أخبرنا الله عز وجل على لسان عيسى عندما قال لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران: ٥١].

ثالثاً: أخذ عيسى عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله وحده، ويحذرهم من الشرك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى

وَرَبَّكُمْ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

رابعاً: أخذ عيسى عليه السلام يدعو قومه إلى الإسلام.

إن الدين عند الله الإسلام، وما من نبي جاء إلى البشرية إلا وهو يدعوهم إلى الإسلام، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١]. والحواريون هم أتباع عيسى عليه السلام.

عباد الله! أخذ عيسى عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة التوحيد بالليل والنهار، لا يكل ولا يمل، والله عز وجل أَيَّدَ عيسى عليه السلام بالمعجزات، كما يفعل ربنا ـ جلَّ وعلا ـ مع كل الرسل.

فكان عيسى عليه السلام يبرىءُ الأكمه والأبرص بإذن الله.

وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى بإذن الله.

وكان عيسى عليه السلام يأخذ من الطين، فيجعل منه كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيطير بإذن الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ [المائدة: ١١٠].

عباد الله! ومع هذه المعجزات التي أظهرها الله على يد عيسى عليه السلام فلم يكتفِ قومه بذلك؛ بل طلبوا منه طلباً عجيباً غريباً فقالوا: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ﴾ [المائدة: ١١٢]، ولا عجب في ذلك من بني إسرائيل، ولا غرابة في ذلك على بني إسرائيل، فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]؛ بل وقد طلبوا

من موسى أكبر من ذلك فعندما نجاهم الله ﷻ من فرعون إلى الشاطىء الثاني فمروا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا: يا موسى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، فلا غرابة مِنْ بني إسرائيل أن يسألوا عيسى عليه السلام: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ﴾ [المائدة: ١١٢]، كما أخبرنا ربنا في كتابه فقال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المائدة: ١١٢، ١١٣].

فما كان من عيسى عليه السلام إلا أن رفع يديه إلى السماء، ودعا الله ﷻ، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة: ١١٤].

فقال الله ﷻ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٥].

إخوة الإسلام! ومع ذلك قام عيسى عليه السلام في قومه يدعوهم إلى عقيدة التوحيد بدون كلل ولا ملل، فآمنت به طائفة وكفرت به طائفة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: ١٤].

الطائفة الكافرة أخذت تحقد على عيسى، وأخذت تمكر بعيسى، ومكروا ومكر الله، والله خير الماكرين، وأخذت تخطط وتمكر كيف تقتل عيسى وتتخلص منه، فمكروا وخططوا وجاؤوا من كل مكان ليقتلوا عيسى ويصلبوه، وبلغ ذلك عيسى عليه السلام.

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ

ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٢ ـ ٥٤]، فأخذ عيسى حِذْره من هذه الطائفة، ولكنْ ذات يوم وعيسى مع أصحابه في بيت من البيوت وإذا بالطائفة الكافرة قد جاءت ليأخذوا عيسى ليقتلوه ويصلبوه حتى إذا وقفوا بالباب ألقى الله ﷻ ـ الذي يقول للشيء: كن فيكون ـ شبه عيسى على أحد أصحابه، ثم ألقى النوم على عيسى ثم رفعه مِنْ سقف الغرفة إلى السماء فنجَّاهُ بذلك من كيد الكافرين، ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: ٥٤].

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: أُلقي عليك النوم، ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥].

فالله ﷻ رفع عيسى حياً إلى السماء، فدخلت الطائفة الكافرة فوجدوا هذا الرجل الذي أُلقي عليه شبه عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه، ولكنهم في شك من ذلك.

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

فالله ﷻ رفع عيسى حياً إلى السماء، وسينزل آخر الزمان على هذه الأرض ليحكم الناس بشريعة محمد ﷺ كما أخبرنا بذلك رسولنا ﷺ.

قال ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها**»(١)، وما من أحدٍ من أهل الكتاب إلا ليؤمن به قبل موته، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٢٦٤).

عباد الله! يقول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]، وما أدراك ما يوم القيامة! يوم يكون عيسى على قومه شهيداً أمام الله، والله ﷻ أخبرنا في كتابه بأنه يؤتى بعيسى ابن مريم عليه السلام والناس في أرض المحشر جميعاً ليُسْأَل سؤالاً، والله يعلم بأن عيسى عليه السلام لم يقل لقومه ذلك، ولكن توبيخاً لقومه الذين قالوا: إن عيسى ابن الله، وإنه هو الله، وإنه ثالث ثلاثة.

يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾، فيقول الله ﷻ: ﴿هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٩].

الذين عبدوا عيسى، الذين يقولون: إنه صُلب فداءً للبشرية ـ وما قتلوه وما صلبوه! ـ الذين افتروا على عيسى وقالوا: إنه ولد زنا! فسيقول عيسى أمام البشرية يوم القيامة: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

ابن آدم! عيسى عليه السلام وهو من أُوْلي العزم يقف أمام الجبار في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ليُسْأَل كما تُسْأَلُ الرسل. ابن آدم! استيقظ، الرُّسل يسألهم الله يوم القيامة وأنت في غفلةٍ عن هذا اليوم!!.

قال ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ﴾ [المائدة: ١٠٩].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦]، الرسل تسأل يوم القيامة! فما بالنا ـ يا عباد الله ـ وقد حملنا الأوزار كاملة على ظهورنا يوم القيامة.

فيا ابن آدم: لا تنس الوقوف بين يدي الله.

ابن آدم!

مثِّل وقوفك يوم العرض عريانا ... مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق ... على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهلٍ ... فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته ... إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبد عصى للنار عطشانا
المجرمون غداً في النار يلتهبوا ... والمؤمنون بدار الخلد سُكانا

فيا عباد الله! اعملوا ما شئتم، إنه بما تعملون بصير، واعصوا ما شئتم فأنتم راجعون إلى الله، وأعرضوا عن كتاب ربكم وعن سنّة نبيكم ما شئتم، فالوقوف بين يدي الله.

فمن علم أَنه لله عبد، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول فليعِدّ للسؤال جواباً.

اللّهم استرنا يوم تبلى السرائر

اللّهم ثقّل موازيننا، اللّهم ولا تفضحنا يوم القيامة

❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعات

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع — الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

*** الأصل الثاني الإيمان بالملائكة ***

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

تمَّت فهرست المجلد الأول
من كتاب العقيدة أولاً
بحمد الله تعالى

كتب صدرت للمؤلف

أ ـ العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون، ٤ مجلدات.

ب ـ أحسن البيان، مجلد.

جـ ـ الدعاء النافع، مجلد.

د ـ سبل السلام في صحيح سيرة خير الأنام، مجلد.

هـ ـ الصحابة رضي الله عنهم، مجلد.

و ـ تبصرة الأنام بالحقوق في الإسلام، مجلد.

ي ـ حياة السعداء، مجلد.

ز ـ الفرقان من قصص القرآن، مجلد.